الوعي المجتمعي والتغيير ...

م. ياسر جاسم قاسم

البصرة/2014

الاهداء:

الـى / زينـب ، زوجتـي الغاليـة ... لقد فقدت الكثيـر مـن محبيـك ، ولكنـك مـا زلـت تقـدمين الكثيـر مـن الحب بمشاعرك الدافئة .

المقدمة :

هذا هو الكتـاب الاول مـن سلسـلة فصلية جديـدة اقــوم بتأليفهــا اســمها (الــوعي المجتمعــي) ، ســتتناول بـالبحــث والتحليـل موضــوع الــوعي المجتمعــي وقدرتـــه علـــى التغييـــر المطلـــوب ، وسـيلاحظ القــارئ انــي قسـمت هـذا الكتــاب الــى ثلاثين مبحثا كل مبحث يهتم بموضوع له صلة بالوعي والتغيير وكيفية احداثهما فـي المجتمـع، وكل مبحث ينتهي بملحوظتين تلخصـان المبحـث وتخرجـان بنتيجـة عمـا طرح فيـه، وهـذا شــيء جديد في كتاباتي ومؤلفـاتي طرحتـه توخيـا لنفـع القارئ به اكثر ، وهذا الكتاب سيليه سلسـلة مـن الكتــب التــي تــتكلم فــي نفـس الموضـوع ولكـن

بافكار اخرى تتعلق به وبنفس الاليات في الطرح لاشباع موضوع الوعي المهم احداثه داخل المجتمعات ، تكلمت في هذا الكتاب عن عدد من المواضيع المهمة المختصة في موضوعة الوعي ومنها مبدأ المساواة والعدالة والاجتماعية وقدرة المجتمعات على احداث الوعي بهما ومن خلالهما ، كذلك تحدثت عن سمات الدولة المدنية التي ينبغي ان نعيها داخل مجتمعاتنا ونجعل من هذه السمات منظورا تطوريا رائدا في هذا المجال فالدولة المدنية شان اساس لايجاد صيغة مهمة لبناء الانسان ، ولكن الدولة المدنية تصطدم بالمؤسسة الدينية التي تعمل على مسخ الرؤى المدنية المهمة التي نحن بحاجة اليها لانشاء الدولة المدنية ،ولاسيما الدور السلبي كما اننا ناقشنا موضوع الكاتب وقدرته على احداث التغيير وقدرات المثقف والمفكر على ايجاد الاليات الكفيلة لنجاح مشاريعهما التنويرية والفكرية ، ان الوعي الذي نحن بحاجته ينطلق من وعينا كذلك بالهوية الحضارية وعدم مسخها من قبل

العولمة وايجاد الصيغ التصالحية مع العولمة ومع الدين حتى بتحويله الى نسق فني ونتاج مجتمعي مهم للافادة منه في التغيير المطلوب وليس العكس أي استخدام الدين لاحداث التخلف المجتمعي وهو ما يحصل اليوم بالاستخدام النفعي للدين وللتراث وللهوية مما حول هذه الايقونات المعرفية الى وبال على المجتمعات، علينا ان نجعل من حقل المعرفة مكانا لانتاج الوعي ووسيلة للارتقاء بالمجتمعات ، كما ناقشنا في الكتاب الاول من سلسلة (الوعي المجتمعي) مدى قدرة المثقف على معرفة مدى امكانية ان ينجز شيئا واقعيا لينفع به المجتمع بعيدا عن نرجسيته.

وعقم الافكار وعدم فاعليتها هو اخطر شيء يقع به المثقف تجاه مجتمعه، حيث يبقى مجترا لافكار عقيمة ليس لها واقع وهذا ما وقع به اغلب مثقفينا اليوم ، كذلك تحدثت في هذا الكتاب عن الشباب واهمية ايجاد الوعي لديهم لاحداث التغيير المطلوب ، فالوعي لدى الشباب مهم جدا واساس لانهم اساس المجتمع ،

واوجـدت معـادلات كثيـرة سـيراها القـارئ فـي الكتاب ومنها على سبيل المثال لا الحصر
تجـاوز العوائق+تطـوير الوسـائل + توظيـف المكتسـبات= تحقيـق المنجـزات ـــــــ التـي تؤدي الى ـــ تحقيق الوعي المجتمعي
فكل هذه التعابير المهمـة والاساسية تـؤدي الـى الـوعي المجتمعـي المطلـوب بتجـاوز العوائـق وتطوير الوسائل وتوظيف المكتسبات ولكن قبل كل هذا على المثقف ان يكون واعيا حقيقيا لكـي يقـدر علــى احـداث كـل هـذه المفـاهيم داخـل المجتمعـات ، كمـا تحـدثت عـن الـوعي بـالنص المـاثور ، وضرورة مراجعتـه فـالوعي فيـه جزء اساس ومهم لكي نكون قـادرين علـى تنحيـة مـا يمكــن تنحيتــه منــه أي مــا يحــدث الازمــات المجتمعيـة واغلـب مـا نعانيـه اليـوم هـو بسبب النص المأثور عبر التراث ، وتكملـت عن كيفيـة قراءة الـنص وكيـف قرأه الـبعض من البـاحثين والمفكـرين وهـل اجـادوا فــي قــراءاتهم ام لا؟ وتحدثت عن مسالة مهمة في هذا الكتـاب وهـي مســالة الـوعي بالبيئــة لان البيئــة مهملــة لـدينا

حتى من تفكيرنا فعلى شبابنا وكتابنا ومثقفينا ان يكون لديهم وعي بيئي لاسيما في العراق حيث البيئة السيئة نتيجة الحروب وفي البصرة بالتحديد نتيجة عمليات استخراج النفط المهولة . وختاما اقول عسى ان اكون قد قدمت كتابا مهما قادرا على احداث الوعي المطلوب والممهد للتغيير عبر هذه السلسلة الجديدة من الكتب والتي ابغي من خلالها النهوض بمجتمعنا من براثن ما لحق به من مؤسسات متخلفة ورؤى خرافية سيئة وخزعبلات لا حصر لها .. والنهوض يسبقه الاصلاح وما عملنا هذا الا جزء من منظومة الاصلاح التي نكافح من اجل ايجادها في مجتمعنا.....

م. ياسر جاسم قاسم

البصرة

2014-3-13

1- وعي المجتمع مدخل لتطوره...

الوعي المجتمعي يتضاد مع اللاوعي المجتمعي الذي ينقاد المجتمع فيه الى رؤاهم الميثولوجية وعاداتهم وتقاليدهم ، دون ادنى شعور حقيقي بالوعي وبالتالي يطلق على هكذا مجتمعات لا تنتج وعيا حقيقيا وتستمر بأنتاج اللاوعي ، انها مجتمعات متخلفة ، اما اذا أنتجت المجتمعات وعيا

حقيقيا وتبنت في اوقات معينة لا وعيا مجتمعيا فهذا سوف لن يؤثر على مزايا الوعي المنتجة ، ولكن انتاج الوعي المجتمعي ليس من مهمة كل ابناء المجتمع بل من مهمة الناقد التنويري، لاحداث الوعي المطلوب ، من هنا فالمطلوب من هذا الناقد هو : تنوير الوعي المجتمعي لتحقيق السعادة والخير والجمال ووعيه(أي الناقد التنويري) يتشكل من:

1- نظريات نقدية جديدة .
2- استيعاب نظريات قديمة.

وكل هذين الامرين ، يجعلان من حقل معرفة هذا الناقد وسيلة للارتقاء بمجتمعه ، فالنظريات النقدية الجديدة بمزاوجتها مع النظريات القديمة تنتج وعيا حقيقيا ينقل المجتمع الى واقع انساني حقيقي.

ان التنوير المطلوب يمكن ان ينطوي على تعدد النظريات النقدية المتاحة وتنوعها والتفاعل معها، وثراء هذه النظريات وتنوعها يعد عونا على عمل الناقد التنويري ودعما له بما يحقق هذه الغاية ، وتلك، وعلى الناقد الا يكون مقلدا لتراثه بل يكون مجتهدا ابتكاريا ، أي يقوم باعادة عملية انتاج المستفاد من هذه النظرية ، وتلك موروثة او وافدة بلا تمييز.

ولكن خوفنا ليس من عدم نجاح المجتمعات في تبني رؤى التنوير بقدر ما نخاف من التخلف الذي ينيخ بكلاكله على اكتاف مورد التنوير الناقد العربي ، واضرب مثلا بسيطا فبنظرة واقعية للناقد / محمد عابد الجابري ، الذي نقد التراث في كتابه"نحن والتراث" نجده يورد وعيا ولكن أي وعي، وعي يعتبر اخوان الصفا أناس لم ينتجوا فكرا فلسفيا او ثقافيا ، بل هم مجموعة ايديولوجية ناهضت السلطة التشريعية المتمثلة بالدولة العباسية الشرعية حسب رؤيته ،فاي تراث تنويري ونقد عقلي ووعي مجتمعي بالتراث يمكن استخلاصه من هذا الناقد؟ فهذا هو التخلف بعينه ،فاعتبار سلطة العباسيين سلطة شرعية وجيدة ، هذا هو قمة التخلف في الوعي الذي يقع فيه الناقد العربي وهذه إشكالية كبيرة ، يقع فيها، فينبغي الحذر من هكذا أطروحات نقدية .

كذلك ينبغي الخوف من تديين كل شيء لأغراض نفعية سياسية فتديين كل شيء لغرض الحصول على المنافع من ابناء المجتمع ، واخصص السذج منهم ، لان المجتمع بوعيه، لا تنطلي عليه احابيل المتدينيين وأغراضهم النفعية في مجالات السياسة والاقتصاد خصوصا.
وينبغي الالتزام من قبل الناقد التنويري المجتمعي بالوعي المفتوح على الآخر ، وعي يدرك ان الهوية كما يصورها غاندي بقوله: انني افتح نوافذ بيتي في كل اتجاه كي تستقبل الهواء القادم، من كل حدب وصوب شريطة الا يقتلع الهواء جذوري"
فالانفتاح على ثقافة الاخر التي تشمل: دينه ، رؤاه، افكاره، فلسفته،عاداته، تقاليده، تراثه، حداثته، دون نسيان الهوية التي ننتمي اليها.
كما ينبغي الوقوف عند مسالة هامة ، ألا وهي العقلانية كأساس معرفي تلازم الحرية ، في عملية النقد التنويري فالعقلانية هي التفكير المعرفي الحقيقي ويكون منطلقا هذا التفكير من العقل ، الذي لا يخضع للإرادة الا ضمن نطاق محدود كما يقول الجاحظ.
كما نحتاج من الناقد التنويري ان يكون متحررا مجتمعيا لايقع ضمن قيود المجتمع بل يكون حرا مفكرا عقلانيا بامتياز ، وهذا ما يجعله منتجا للوعي المطلوب بمعنى آخر الا يكون الناقد التنويري مقيد مجتمعيا بايمانيات المجتمع فبالتالي سيكون دون وعي حقيقي منتج على ارض الواقع.
ملحوظتان:/

1- **اذا اصطدم الناقد التنويري بالميثيلوجيا واصبح ما بين طبيعة الرمز الديني وعنصر الأسطورة الأساسي ، ولم يع الشيء الذي يفسر التشابهات التي نعثر عليها في كل مثيلوجيا العالم فبدراسة لاغلب الطقوس والعقائديات بين الاديان نجد هنالك، تشابهات عميقة جدا مما يدلل على الجذر الإيديولوجي للأديان فبدون هذه المعرفة من قبل الناقد التنويري سيكون هنالك خللا في الوعي المجتمعي المطلوب تحقيقه.**

2- يقول بهاء طاهر وهو روائي من مصر : لا الوم رجل الشارع البسيط في نظرته الى المثقفين ، لانهم بالفعل منفصلون عن الشارع ، ان تحرير الثقافة من العزلة والتواصل اكثر مع المجتمع والناس ، أولويات عمل يجب ان ينشغل بها المثقفون في المرحلة الراهنة .

وهنا يجب علينا التفكير مليا في قول"بهاء طاهر" في ضرورة تفاعل الناقد التنويري صاحب الوعي المجتمعي مع المجتمع وليس ان يعيش في برجه العاجي والنرجسية البعيدة عن متطلبات المجتمع التوعوية الاساسية ، أي الا يقفز على الواقع في معالجاته ، الا يتحدث عن السوبر حداثة على سبيل المثال والمجتمع ما قبل حداثي، وليس معنى كلامنا عدم التحدث بهذه الرؤى الفكرية والفلسفية والكتابة عنها ، بتاتا ولكن وكلنا يعرف هذه مواضيع وبحوث تخص النخبة وينبغي تحبيبها للمجتمع ، وخوض الناقد التنويري يجب ان يرتكز على معالجة مشاكل المجتمع وفق الاليات الفكرية التنويرية المستمدة من التراث والمعاصرة وتحبيب وتشويق المجتمع الى العناصر الفلسفية الحديثة الراهنة وبأسلوب مميز.

2- العدالة الاجتماعية صورة من صور الوعي:

وكأحدى اهم الاسهامات في احداث الوعي هو : الوعي الحقيقي في تناول العدالة الاجتماعية ،فالعدالة الاجتماعية تنطلق من المجتمع الى

السياسة وليس العكس ،لان الساسة هم ابناء المجتمع وبالتالي ،دون ايجاد معنى حقيقي لمفهوم العدالة الاجتماعية سوف لن يكتب لها نجاح على المستوى السياسي ،لان فاقد الشيء لا يعطيه ، والعدالة تأتي نتيجة الامل والرجاء المتلازمان عند البشرية لتحقيق الحق وتغيير واقع البشر نحو ماهو خير وافضل، وكثير من الفلاسفة تناولوا العدالة كمفهوم اجتماعي فيعتبر جون رولز (1921-2002م) من المفكرين الامريكيين المعاصرين وكانت اغلب كتاباته مستلهمة من مشاكل المجتمع الامريكي المعاصر ذاته، وهذا ما تحدثنا عنه في ما مر في تشكيل الوعي المجتمعي وضرورة ان يتخذ الباحث والكاتب والاديب والمفكر مشاكل مجتمعه مادة خصبة لكتاباته ومعالجاته حتى انه اصدر كتابه" نظرية العدالة" عام 1971 ويعد هذا الكتاب حدثا سياسيا بارزا في الفلسفة السياسية المعاصرة .

ومن مبادئ العدالة التي بالامكان استخلاصها مجتمعيا لتحقيق وعي بها:

1- مبدأ المساواة والتكافؤ في الفرص والتقليل قدر الامكان من مظاهر اللامساواة وذلك عن طريق التوزيع المنصف للخيرات الاقتصادية والحقوق الاجتماعية .
2- مبدأ الحرية ،الذي يقضي بضرورة تمتع جميع المواطنين بالحريات المدنية الاساسية.
3- مشروعية حق الاختلاف وهذا ما نطمح رؤيته موجودا ، بقوة في مجتمعنا ،فالاختلاف حق مشروع ينبغي الدفاع عنه ،فالاختلاف هو ثقافة بحد ذاتها ، واستلهامها يعني معنى العدالة المجتمعية بين الناس قبل مطالبة الساسة بمفهومها ،فاذا كان المجتمع لا يتقبل المختلف فكذلك الساسة .

فالسياسيون هم ابناء ذلك المجتمع ، واذا رجعنا الى جون رولز نراه ركز مليا على مفهوم العدالة ،فقد اصدر كتابا اخر أسماه "العدالة كانصاف" عام 2001م، فالاختلاف بين اجناس الناس كما راه رولز هو :اختلاف ثقافي فهو يعتبر ان ليس من الضروري دائما ان توجد قواعد كلية وكونية تحكم سياسات شعوب العالم بأسرها، كما لم تعد

هناك في نظره ضرورة كبيرة لوجود نظرية عالمية للعدالة ، اذ بالامكان الاكتفاء فقط بقواعد تتلاءم مع المجتمعات الحديثة.
وان شئنا ان نتحدث عن مفهوم العدالة الاجتماعية في الفلسفة السياسية المعاصرة فهنالك شخصية هامة في هذا المجال وهو :امارتيا صن، (1933-) وهو مفكر وعالم اقتصادي معاصر من اصل هندي، يدرس في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة، انجز دراسات مهمة في التنمية حول ظواهر تتعلق بالعدالة الاجتماعية هي:الفقر والمجاعة، ولديه كتاب مهم حول العدالة اسمه"فكرة العدالة" الذي صدر عام 2002م وينطلق مما انطلق به زميله "جون رولز" وعرف"المجتمع العادل" و" المؤسسات العادلة" وكان له راي يتلخص في: انه لا يكفي اجهاد الفكر من اجل وصف مجتمعات فاضلة تتسم بعدالة مثالية ، كما هو عليه الامر في اغلب نظريات العدالة، الرائجة اليوم في الفلسفة السياسية المعاصرة، واوجد حلول عملية لمحاربة الظلم، وانتقاء افضل الشروط لبناء مجتمع عادل وديموقراطي على ارض الواقع.
اذن تشخيص الظلم هو نقطة البداية في أي نقاش نقدي حول العدالة والاحساس بالظلم هو الاشارة الاولى التي تدفع الى التحرك من اجل رفع مظاهره الصارخة بالقدر الممكن ، وبالامكان اثارة اسئلة هامة في هذا المجال ،فاليوم من سياسيين وابناء مجتمع وعلى مستوى العالم ككل نتكلم عن العدالة ومفاهيمها ،في حين تتفاقم مشاكل تقع بالضد منها، على راسها الفقر والبطالة وعدم المساواة والتوزيع غير العادل لثمار العولمة والحظوظ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تتيحها فضلا عن وجود تفاوت كبير في امتلاك واستخدام التكنولوجيات الجديدة على المستوى العالمي، ما يخلق شرخا رقميا، عالميا ،فضلا عن العنف واختراق مفاهيم حقوق الانسان كلها تحصل في عالم اليوم تحت مسميات كثيرة.
ملحوظتان:
1- ان العدالة الاجتماعية هي:سلوك اجتماعي عام ،يجب ان يحظى بتاييد المجتمع بكافة فئاته من مثقفين ورجال دين وسياسيين

واقتصاديين، واكاديميين، ويجب ان ينسحب على كل مفاصل الحياة، وان تصاحبه حركة ثقافية حقيقية للتعريف به مجتمعيا واحداث الوعي حوله، فالوعي اللازم للتعريف بالعدالة ، والاخذ بمستلزماتها، الحقيقية، للقضاء على كل ما يتعارض مع مفاهيمها ليس قضاء نهائيا فهذا ضرب من الخيال ومن الصعب بل من المستحيل تحقيقه على ارض الواقع،مع وجود المؤسستين الدينية والعشائرية .

2- الحركة الثقافية لاحداث الوعي المطلوب لاحداث التغيير تتطلب ايجاد مثقف حقيقي ليس زائف او مثقف نرجسي او سلطوي يعتاش على ازمات مجتمعية بوقوفه الى جنب السلطة او مثقف منعزل يدعي العزلة والصمت ، فهكذا مثقف او شاعر او اديب لسنا بحاجة اليه، او نراه يمارس التناقض فهو مع اصحاب العقل الايماني، مؤمن ومع الملحدين ملحد، هكذا مثقف يؤدي بنا الى الفشل في ايجاد الوعي المطلوب للتغيير ، ولنعلم ان مسألة العدالة المجتمعية لن تتحقق دون تدخل كبير على مستوى التنظير من قبل مثقفي المجتمع، وانطلاقاته يجب ان تكون من المناداة بالعقلانية التي تكلمنا عنها، فيما سبق، من هذا البحث، العقلانية التي تستلهم للتكلم عن المبادئ المنتجة للوعي انطلاقا من العقل، بالنتيجة تحصيل المعرفة يؤدي الى العقل الموضوعي والشفاف الذي يقود الى معرفة حقيقية بعيدة عن اعادة انتاج مفاهيم ومصطلحات ليست في صلب معالجاتنا المطلوبة.

3- الوعي في التغيير :

في هذا المبحث سأناقش التصورات التي ينبغي ان نقف عندها لكي نحقق الوعي في التغيير ، ونسأل انفسنا عدة اسئلة حول مفاهيم

تلك التصورات ، وبالاخص عن الكون والحياة والانسان، والسلوكيات البشرية والموضوعات المادية والمهارات والتقنيات والطقوس والرموز الدينية والمؤسسات والعادات الاجتماعية علوما وادابا وفنونا بالتحديد هذه التصورات والاسئلة المثارة حولها ،تقع في خانة اشكالية الثقافة المعاصرة، وهي تتصل بمصطلحات مهمة مثل: التنوع الثقافي ،الهوية الثقافية ،حقوق الانسان، العولمة الثقافية ،الحقوق الثقافية ،الصراع والحوار بين الثقافات، ولو اردنا التكلم عن كل مصطلح من المصطلحات في اعلاه، لاسهبنا كثيرا ولكن اريد الوقوف عند هذه المصطلحات لابين جوانب تاثيرها الاستراتيجي والحقيقي على ارض الواقع فمثلا عند تكلمنا عن مفهوم: التنوع الثقافي الذي له ارتباط مباشر بحقوق الانسان وثقافة هذه الحقوق فبدون هذه الحقوق لا يوجد هنالك تنوع ثقافي ،بالتالي سنرى حقوق الانسان سبقت التنوع الثقافي كثيرا ومثلما هنالك إعلان عالمي لحقوق الإنسان ،هنالك إعلان عالمي للتنوع الثقافي الصادر في سنة 2001م، وقد أسس لفكر أخلاقي جدي وأهميته توازي اهمية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر في سنة 1948م، ان التنوع والتعدد الثقافي حق طبيعي يؤسس للثقافات البشرية فضاء حيويا للتنمية والازدهار، وتكوين حضارة حقيقية فبدون التنوع الثقافي ،أي :احترام الثقافات الأخرى المتواجدة على الساحة المجتمعية لا نستطيع ان نكون مجتمعا متحضرا ، وبالتالي لا نكون حضارة إنسانية حقيقية بتنا بأمس الحاجة الى تكوينها، ان التنوع الثقافي يعني القبول بالآخر المختلف ثقافيا وهو لكي يكون ناجحا يرتبط ليس فقط بمبادئ وثقافة حقوق الإنسان، بل يرتبط كذلك بحوار الثقافات الذي هو جزء من حوار الحضارات، لان الثقافة هي جزء من تكوينات الحضارة بل هي الجزء الرئيسي والأساسي. وبدون حوار الحضارات والثقافات سوف لن يكون هنالك تنوع ثقافي بل ستكون هنالك حرب ثقافات تقود الى صدام حضارات، من هنا نحن بحاجة الى مقدمات أساسية لحوار الثقافات الذي يقود الى التنوع الثقافي ، والمقدمات تتمثل بمد الجسور

الثقافية بين تكوينات المجتمع ، ومد الجسور يعد مبادرة إنسانية رفيعة المستوى فكيف اتحاور معك ان لم أعرفك بداية، وأتواصل معك في مناسباتك، وفعالياتك المجتمعية، بعدها نتحاور ليس لاجل اثبات الحق مع من، بل لاجل قبولك قبولا حقيقيا ، أتحاور ليس لاجل ان اثبت ان الاخر على خطأ وانني على صواب، بل أتحاور لأثبت ان كلانا على حق لأجل ان اقبلك قبولا تاما، اتحاور معك لاجل معرفتك ولا اعمل على مضايقتك .

ومن افضل من تكلم عن الحوار ومفاهيمه الفيلسوف الألماني المعاصر :جورجين هابرماس ، ولفترة أربعين سنة وضع أسس فلسفية جديدة تريد ان تكون عقلانية نقدية وتواصلية وحدد اشكالياتها الرئيسية في أخلاقيات الحوار والمناقشة ومن بين أفكارها :ان النقاش القائم على الحجج العقلية وعلى الحرية والاحترام المتبادل يقود بالضرورة الى نتائج ، يمكن ان يتوافق عليها الجميع ، ولديه كتاب مهم في التواصل اسمه "الأخلاق والتواصل" المنشور في سنة 1983م، وهو كتاب معدود من الكتب المهمة ، وهابرماس يدعو الى ارساء دعائم صرح عقلانية تواصلية انطلاقا من فكرة النشاط التواصلي للبشر في المجتمع واسترشادا بمدونة أخلاقيات المناقشة ومن ثم السعي الى إنشاء نظرية فلسفية جديدة للعلاقات الانسانية في المجتمعات المعاصرة، هذا النقاش وهذا الحوار سيقود الجميع حتما الى مفهوم "العقل العلمي" الذي يعد ركيزة اساسية في الفكر الاخلاقي عند الفيلسوف الالماني كانط ملهم هابرماس، ولو انتقلنا الى مفهوم الهوية الثقافية وكيف تتحول من شيء ايجابي الى سلبي يقوم على الغاء الاخر، فبداية اقول ان الهوية اما فردية او جماعية تشترك بها جماعات معينة بدين، بمعتقد، بمذهب بثقافة معينة ، ويرى ادوارد سعيد ان الهوية هي: من نحن؟ من اين جئنا؟ ما نريد؟ هل نستطيع ان نكون الاخر المعارض؟

المهم ان الهوية هي مفهوم مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية ، والهوية مفهوم يعتبره البعض مركب وليس

واحد، فالعربي اليوم هو ليس العربي قبل 1000 عام ولكنه يبقى عربيا في سماته وجوهره.
والهوية مركبة كما اسلفنا وهي تحدد اتجاه صاحبها ومسار فكره وعقيدته وانتماءاته ، ويرى علي حرب ان لاهوية ذات بعد واحد او وجه واحد، بل هنالك هوية مركبة لها عدة اوجه وتنفتح على اكثر من عالم، وهذا ما نريده فعندما تنفتح هويتي على اكثر من عالم تكون هوية ايجابية فعالة ومتفاعلة مع الاخر، اما اذا كانت مغلقة. فستكون سلبية تعمل على الغاء الاخر.اذن علينا الحذر من الهوية السلبية والحذر كذلك من الهوية غير المعبرة عن النفس فهذه هوية ضعيفة يقول عنها ماركس: انهم غير قادرين على تمثيل انفسهم . اذن علينا الا نصل بهويتنا الى هذا الوصف الماركسي "غير قادرين على تمثيل انفسهم" فهذا يعطي دلالة الهوية غير الفاعلة وغير المتفاعلة وصفناها بكونها سلبية منغلقة على الذات . فالحذر يجب ان يكون من الهوية غير الفاعلة وغير المتفاعلة أي الضعيفة والسلبية على التوالي.
ملحوظتان:/

1- ان الحوار الثقافي يقود الى التنوع الثقافي وقبول الاخر والوصول بالتالي الى مجتمع مدني لا مجتمع ديني قائم على الحوار لا على الصراع يحتفظ كل مكون من مكوناته بهويته الحضارية ذات المعنى الانساني الجامع.
2- الهوية الثقافية مفهوم للتواصل مع الاخر ، والتفاعل معه وليس مفهوم سلبي كما نراه اليوم، يقسم المجتمعات الى مجاميع متصارعة ومتحاربة ، بالتالي نحن بحاجة الى الكشف عن العلاقات الداخلية عبر فضاء عمومي مجتمعي للنقاش وهو يساوي نهضة معرفية أساسها حضاري وأسها معرفي وحسب المعادلة الرياضية التالية:/

$$X_y^m = z$$

حيث :

فضاء مجتمعي للنقاش :z
نهضة معرفية:X
معرفة:M
حضارة :Y

حيث تشكل المعرفة والحضارة والنهضة المعرفية مساواة كاملة لنيل فضاء مجتمعي للنقاش(z) ويقود هذا الفضاء إلى : نهضة معرفية أساسها حضارة(y) حسب الشكل في أعلاه وأسها معرفة(m) .

4- بعض من سمات الدولة المدنية :

تكلمنا فيما ورد في أعلاه عن مفاهيم الحوار والتنوع الثقافي والتفاعل الثقافي وحقوق الانسان وكلها مسئولة مسؤولية تامة عن:

بعث الوعي المجتمعي تمهيدا للتغيير ، ومما يبعث على الوعي في المفاهيم في اعلاه هو ان هذه المفاهيم لا تقع الا في ظل دولة مدنية لا دولة دينية ، والدولة المدنية علينا ان نتفق انها لا تتحقق الا عبر بعد زمني متحرك، أي :تحريك المياه الاسنة في مجتمعاتنا ونجعل منها مياه متحركة والوسيلة هي احترام الخلاف والجديد في التربية الانسانية انك توظف الخلاف توظيفا ينتفع به الجميع ، وبداية فان على المجتمع ان يحارب سمات الدولة الدينية او الصفات التي تؤدي اليها من قبيل مرجعية الولي الفقيه كما في الحالة الشيعية في ايران مقابل المرشد العام في الحالة السنية ، هذه هي مرجعية الدولة الدينية بينما مرجعية الدولة المدنية هي: الدستور ومن السمات ايضا التسلط السياسي على الدين وهذا يختلف عن مفهوم: التوظيف للدين ، ومن سمات الدولة الدينية هي إيديولوجية تؤمن بالعدوانية وإرهاب واستفزاز الأخر والتدخل في شؤونه، نحن بحاجة الى إقامة روح التسامح لا روح العدوان ، وهذه لا تتم عبر دولة دينية بل دولة مدنية تماما ، نحن نحتاج الى إطارين للتحرك في ظل دولة مدنية دستورية / الإطار الأول هو الزمني والثاني هو : الثقافي ، فالزمني هو الزمن الذي بالإمكان استغلاله لاشاعة المفاهيم المدنية ، وجعل المجتمع يتشبع بها والإطار الثقافي هو المصطلح والسلوك فالمصطلح يتشبع به المجتمع زمنيا والسلوك هو الإطار التطبيقي للمصطلح وهذا ياتي تطبيقه تلقائيا بعد تشبع المجتمع به، ويجب الا يفهم كلامي اني ضد الدين ، لا بتاتا فالدين محترم في كل دولة مدنية ، والدين بما يمثله من ظواهر اجتماعية واقتصادية وممارسات مرتبطة بتقديس الأولياء يشكل ظاهرة تحترمها الدولة المدنية ، ولو اخذنا أنموذجا مهما استطاع ان ينطلق من خلفية تطبيقية الا وهي رئيسة اندونيسيا :ميجواتي سوكارنو(حكمت اندونيسيا من 2001-2004) وقامت بإدخال اصلاحات عديدة على دستور 1945 للخروج من الازمة التي خلفتها فترة سوهارتو وإصلاحاتها لإقامة دولة مدنية تتلخص بالتالي :/

1- التحول الى دولة ديمقراطية حديثة لا مركزية .

2- زيادة المشاركة الشعبية في الحياة السياسية.
3- تطهير النظام القضائي من الفساد.
4- تحقيق اللامركزية ، بعيدا عن التمركز حول جاكرتا العاصمة.
5- الحد من دور الجيش
6- محاربة الفساد والمحسوبية والرشوة.
7- اصلاح القطاع المصرفي .
8- الحفاظ على سلامة ووحدة الاراضي الاندونيسية.
9- تحقيق تنمية مستديمة لا تتعايش مع دولة مستبدة تحتكر فئة قليلة من السكان خيراتها وثرواتها الطبيعية .
10- قامت بعلاقة قوية مع استراليا بهدف تعميق الروابط التعليمية والثقافية وزيادة التدفق للاستثمارات وتحسين العلاقة بسبب قضية تيمور الشرقية.
11- كما وفرت بيئة توفر الحماية للعمالة في القطاع الحديث ، عبر قانون العمل الذي ناقش ساعات العمل ، والعمل الاضافي والحد الادنى للاجور وحماية العمال المستضعفين من نساء واطفال وعمال مهاجرين.

لا نريد الاسهاب اكثر في هذه السمات المميزة للدولة المدنية فهي كثيرة ونحن ضربنا مثلا :بميغواتي الرئيسة الاندونيسية التي حولت اكبر دولة اسلامية في العالم الى دولة مدنية ، عبر انتهاجها اساليب مهمة في تنمية المجتمع من خلال احداث الوعي المطلوب.

ملحوظتان:/

1- ان التعرف على سمات الدولة الدينية يحدد للمجتمع الحذر ، من الوقوع في شباك رجال الدين والسياسيين المتدينين عندما يحاولوا المزج بين الدين والسياسة لانتاج دولة هجينة استبدادية هي الدولة الدينية ، من هنا فالسمات التي ذكرتها هي لغرض التعرف عليها على الرغم من الكتابات الكثيرة التي كتبت في هذا المجال وكذلك استلهام التجارب للدول المدنية كثيرة ولعل تجربة ميغواتي ذكرتها لعدم تسليط الضوء عليها والا فتجارب الامم كثيرة وكانت ناجحة في استلهام المعاني المدنية

للحكم وعلى راسها عدم تدخل المؤسسة الدينية في شؤون وادارة الدولة ورعايتها تقتصر فقط على رجالات الدين ومن يتصل بهم، من المجتمع لتقديم الدعم المعنوي الذي يريده بعيدا عن بقية ابناء المجتمع وعدم تعميم الدين على الجميع فالكل ياخذ استحقاقه في الدولة المدنية .

2- التربية الإنسانية التي تعتبر احد اهم مميزاتها احترام الخلاف في ظل مجتمع يحترم التنوع والاختلاف ، وحقيقة ان الناس اليوم مشوشة افكارهم فالذي يتحدث معهم حول مفاهيم كالتنوع الفكري وحقوق الانسان والدولة المدنية وغيرها يحسبوه مهاجما لدينهم والسبب في التغذية الرجعية التي ينالها جل ابناء من رجالات الدين فثقافة ابناء المجتمع في اغلبها هي ثقافة سمعية وليست ثقافة علمية مبنية على اسس متينة قوامها القراءة والبحث والتمحيص.

5- الاديان والوعي:

يقول الحسين بن منصور الحلاج: الاديان كلها لله عز وجل ، شغل بكل دين طائفة لا اختيارا منهم بل اختيارا عليهم فمن لام احدا ببطلان ماهو عليه فقد حكم انه اختار ذلك لنفسه ، واعلم ان

اليهودية والنصرانية والاسلام وغير ذلك من الاديان هي: القاب مختلفة وأسام متغايرة والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف، ثم قال:

تفكرت في الاديان جدا محققا فالفيتها أصلا له شعب جـما
فلا تطلبن للمرء دينا فأنه يصد عن الوصل الوثيق وانما
يطالبه أصل يعبر عنده جميع المعالي والمعاني فيهما

(اخبار الحلاج، ماسينيون)

يتبين من النص الوارد في اعلاه: الانسانية الكبيرة التي عرف بها الحلاج وحبه وانفتاحه على الاخر ، وهذه تجربة تطبيقية نبعثها من التراث فهو قد ركز على معاني في غاية الاهمية نستطيع اجمالها بالتالي:/

1- الاديان تفرض على البشر وليس البشر من يختارها ، وهذه حقيقة واقعية جدا، حين نرى الاديان تفرض علينا ان نعرف ان المقابل صاحب الدين المخالف ليس على خطأ.... لان هذا ما توصل اليه بمحض ارادة الغير عليه.
2- الأديان هي القاب مختلفة واسام متغيرة والمقصود منها، لا يتغير ولا يختلف، بمعنى انها تصب في نفس المصب وعلينا تقبلها جميعا ، دون تخطئتها وتكفير أصحابها.
3- الأصل الواحد للأديان يجعلنا نتقبلها جميعا دون نفور منها.

والواضح ان عدم تطبيق ما ورد في أعلاه ، يؤدي الى العنف الديني الذي يجانب تماما حالة الوعي المجتمعي المطلوبة في الأمة ، فالعنف المنضم نقمة ابتليت بها البشرية منذ العصر الحجري الحديث، والحرب هي ازميل سيء لنحت الغد كما يقول مارتن لوثر كنغ، والحروب الدينية نتيجة إلغاء الآخر ، هي من اسوء ما ابتليت به البشرية على مدى عصورها فهي تعيق التنمية والتعليم والرعاية الاجتماعية وتهدر الأرواح والأموال ، كذلك ان لم ينتج رفض الاديان لبعضهم البعض حربا فانه سينتج هيمنة لاصحاب الدين الاقوى على الاخر ، والهيمنة على فئة معينة من قبل فئة اخرى اقوى ، هذه الحالة هني اقسى ما تعانيه مجموعة بشرية .
تتعرض لهكذا هيمنة .

نحن بعد ان طرحنا هذه الاشكالية الكبيرة في عدم تقبل الاخر المختلف دينيا واعتبار ديني هو رمز الحق وغيره هو الباطل من هنا نحتاج الى رؤية علاجية للموضوع استطيع تلخيصها بقدرة تأسيس حركات اجتماعية تعمل هذه الحركات على التثقيف بقبول الاخر قبولا تاما، او حتى حراك اجتماعي شبابي قادر على ان يبين وجهات النظر التي تنتج لحظات تفكير صادقة يمر بها المجتمع، ويجب ان تكون هذه الحركات مستقلة وناجحة وتؤدي الى حركة ديناميكية في بنية المجتمع وتقف بوجه الشوفينية الدينية والتسلطية التي منينا بها بسبب رجالات الدين وواقعهم المأساوي تجاه الآخر المختلف وهنا يجب ان تكون لهذه الحركات عقيدة شعبوية كما يسميها مايكل دينينغ ، تؤدي الى تعبئة شعبوية لها موقع مركزي في السياسات الجماهيرية وفي عصر البرلمانات والإعلام الجماهيري ، والحشود ، وهكذا فكل الحركات الاجتماعية هي طبعات من الشعبوية تستدعي خطابيات تعتمد التكلم بلسان الشعب والمجتمع فلو استطعنا ان نبني حركات مجتمعية عظيمة كالتي نراها على مستوى العالم، نطبق مالم يتمكن الحلاج من تطبيقه ، كذلك علينا اعادة صوغ التعليم ومناهجه من ناحية تقبل الاخر والمفاهيم الناتجة في هذا المجال.

ملحوظتان:/

1- ان اجتماع الثروة وادارة السلطة بشكل ناجح من شأنه ان يقلل من فرص اللجوء للعنف خاصة اذا ما كانت هنالك تلبية للاحتياجات الاساسية للمواطن فتلبية هذه الاحتياجات هي من بواعث منح تأييد المواطن وولائه للنظام السياسي الديموقراطي الحقيقي الموحد للمجتمع لا الديموقراطي الذي يعيش على ازمات المجتمع من الغاء الاخر وعدم الايمان بالتعددية الحقيقية ومن ثم يجب ارساء اسس الشرعية .

.

2- لغرض انقاذ المجتمع من المد الديني الجارف المتمثل بالغاء الاخر ينبغي تحقيق عنصر الرفاهة الاقتصادية من حيث توفير

دخل عال وصحة جيدة وتعليم جيد وانه من الضروري ان يواكب هذا كله التنمية السياسية التي تعمل على تهيئة حكومة فعالة ورشيدة في مواجهة المشاكل ، الحكومة التي ستكفل للمواطن المشاركة في الوعي المجتمعي بشكل مباشر خوفا على وحدة ابناء المجتمع.

وفي ضرورة تبني الوعي الحقيقي بحاجات المجتمع لابعاده عن العنف الديني وغيره من انواع العنف البائسة اجد لزاما ان اذكر تعبير لجان جاك روسو في العقد الاجتماعي اذ يقول:/

كلما كان تكوين الدولة افضل كانت الشؤون العامة في اذهان المواطنين متغلبة على الشؤون الخاصة ، وعندما نصل الى هذه المرحلة الهامة في الوعي بمنهجية الدولة التي تضم افرادا وحكومة وارضا يكون المجتمع قد غادر الغاء الاخر والعنف المبني على اساس ديني وغيرها من المفاهيم ، وتقبل الاخر بما هو . نحن بحاجة الى مصلح اجتماعي حقيقي تتشكل لديه رؤى فكرية اصلاحية لتحقيق الوعي المنشود للتغيير .

6-وعي الكاتب في احداث التغيير :

سنتكلم في هذا الجزء من البحث حول وعي الكاتب وشجاعته التي يجب ان يتميز بها لكي يدخل التاريخ من اوسع ابوابه مسجلا رؤى هدفها الاصلاح، من هنا عليه ان يكون بمستوى القلم وشجاعته الفريدة منبريا مصححا ناقدا وناقما على الاوضاع المتخلفة

لمجتمعه، وعليه ان يكون ذو خط ملتزم، يقول الروائي الايراني "شهريار مندانيبور" مؤلف الرواية الشهيرة (رقصة حب ايرانية تحت مقص الرقيب) : (اذا توقفت يوما عن الكتابة واستطعت عيش حياة عادية وآمنة فاعلم انك لم تخلق لتكون كاتبا)كذلك على الكاتب ان يحوز أفكارا وعواطف لا يمكن التعبير عنها بالكلام المنطوق فحسب ،لذا يكون لزاما عليه ان يكتب افكاره بطريقة اصلاحية تمزج الفكر مع المعنى التطبيقي ، من هنا استطيع القول ان الكتابة تشكل حالة الوعي المجتمعية الكبرى في تأريخ الامم لذلك نجد الكثير من الفلاسفة والكتاب وجهوا اقلامهم تجاه اخلاق الكتاب والتحدث عنها وضرورة ان يكون الكاتب واعيا لمتطلبات مجتمعه وامته ، لذلك نجد ان حركة التنوير في اوربا اتخذت مسارا تطبيقيا بفعل الكتاب ودورهم الاصلاحي الذي لم يتمثل بمجرد تنظيرات على الورق فحسب، فكل شخص ينبغي ان يتصرف وفق تقديره هو وكذلك اصبح من واجب الناس في الميدان العلمي ان يتطلعوا الى الطبيعة بانفسهم بدلا من ان يضعوا ثقتهم العمياء في اقوال اولئك الذين كانوا يدافعون عن النظريات البالية وهكذا ابتدأت كشوف العلم وطريقة الكتاب بالنقد تغير وجه الحياة في اوربا الغربية ، لقد كان عصر التنوير في جوهره عودة الى تقدير النشاط العقلي المستقل وهنالك من الأسماء التي انتجت في تلك الحقب التاريخية في اوربا رؤى في قمة الحكمة والشجاعة والتنوير والتطبيق له فيرى ديفيد هيوم(1711-1776) ان كل بحث يحكمه ما يسميه (علم الانسان) فهو لا يهتم فقط بتطهير الارض على رأي برتراند رسل بل يضع في اعتباره المذهب، الذي قد يكون من الممكن تشييده فيما بعد، وهذا المذهب هو :علم الانسان، وتوحي محاولته تشييد مذهب جديد بأنه تأثر بالمذهب العقلي السائد في القارة الأوربية ، وعلى اية حال فان التطلع إلى إقامة علم للإنسان ادى بهيوم إلى البحث في الطبيعة البشرية بوجه عام، وكانت نقطة بدايته في ذلك هي: البحث في نطاق قدرات الإنسان الذهنية والحدود التي تتعداها ، بالنتيجة يتبين ان على المفكر الكاتب والمصلح ان ينظر الى الإنسان كقيمة عليا

وان يحقق المبتغى الأساسي لـه فـي الإصلاح من خـلال كتاباتـه وان يركز تركيزا مباشرا على مبـادئ الحريـة والأمـان حيث يعطـي هذين المبدأين أساس ارتكازي، مهم ، يشكل من خلالـه نشاط كبير يعالج فيه متبنيات أساسية هامة، قد يستشكل البعض علينـا ونحن نتحدث عن التنوير والنهضـة وهاتين الحركتين غادرتهمـا أوربـا قبل 300 سنة واشتغلت في الحداثة وما بعدها والسوبر حداثة فلماذا لـم نغادر هذه المناطق بعد؟ وللجواب: اقول: مـا زالـت الحركـة المجتمعيـة فـي بلادنـا تحتـاج ان تبعـث التنـوير لان المجتمـع مـا زال يعـيش فـي الماضوية لـذا سيصحح التنـوير مـن خـلال بعث النـور مـن التـراث والافكـار الحديثـة لتخليص المجتمـع مـن عقده الماضوية الرجعيـة عنـدها سنؤسـس لمعـايير نسـتطيع مـن خلالهـا القفـز الـى الأمـام مستلهمين مـن عصـر التنـوير الأوربـي القـدرة الكبيـرة علـى التقـدم ومحاربة الافكار الرجعية .

هذه الأفكـار التـي تتحـدث بهـا الجماعـة ذات التكـوين الواحـد التـي تعيش وفقا لمجموعة جامدة من المعتقدات يمكنهـا ان تتكلم بصوت واحد فـي جميـع المسـائل التـي تختلـف فيهـا اراء البـاحثين العلميـين وكـي لا نغفـل الجانـب العلمـي فـي الكتابـات فهـو اساسـي ومهـم وقـاد العالم الى ثورة علمية وتكنولوجية نعيش اليوم مرتكزاتهـا الانسـانية العظيمـة ومنجزاتهـا الحضـارية الكبـرى فالتكنولوجيا الحديثـة تعتمد على تضافر عقول وايد كثيرة ، ولابد ان يبدو لاولئـك الـذين يأخـذون علـى عـاتقهم البـدء فـي مشـاريع جديـدة ، ان قدراتهم لا حـدود لهـا ، غيـر انهـم يغفلـون هنـا حقيقـة مهمـة ، هـي ان هـذه المشـاريع كلـهـا تقتضي جهدا إنسانيا وينبغي ان تخدم الإنسان بانجازات هامة.

ملحوظتان:/

1- الكتابة تشكل حالة الوعي المجتمعي المطلوبة والتي ينبري لهـا مجموعـة مـن الكتـاب المهمـين الـذين يسـلطون الضـوء علـى حاجات المجتمع ومتطلباتـه، ولـيس كل كاتـب مشمول بمقولتنـا هـذه سـوى الـذين يقـدمون الخدمـة الانسـانية والفكريـة ضـمن

كتاباتهم لذلك نجد في الغرب كتابا حفروا اساميهم في الذاكرة من ناحية الاصلاح والنهضة .

2- محاربة الافكار الرجعية يكمن بقدرة الكاتب على المواجهة والوقوف بوجه الهيمنة الثقافية التي من الممكن ان تتسبب بها اية قوة مهيمنة ، ذات مناحي قوة داخل المجتمع فبالتالي تفرض الهيمنة الثقافية بفعل مؤسسات دينية ، او حتى عامة ذات سلطة اقتصادية على فئة معينة من المجتمع.

وعلى الكاتب ان يبتعد عن الثرثرة اللفظية في كتاباته والتي لا تسهم بشيء حقيقي لنهضة المجتمع وان يصوغ فكرته على اساس متين، قوامه نهضة مجتمع وامة.

7-الهوية الحضارية والتراث ... صور من الوعي.

قد يتساءل سائل ويقول :اين تراث المجتمع من تحقيق الوعي حيث يقدم التراث ارضية للبنيان الحضاري والفكري شئنا ام ابينا اذا استخدم استخداما صحيحا ويشكل مساحات للتنوير فيه وبه، ان

الكثير من مفكري العرب رؤوا في التخلي عن التراث والتنكر له ، والاقتداء بالاخر الاجنبي ، ضمن المفاهيم المستخدمة خطأ كالمعاصرة والحداثة والتقدم العلمي والتقني ، واي امة بالتراث تمتلك وجودها المعرفي الذي يصنعه تاريخها التنويري كما تمتلك مداها الحيوي الذي يعطيها ان تكون جزءا من زمن كوني بعيد الاغوار، والاصول بالحاضر، مستشرف للمستقبل ، كما يمنحها الوعي التاريخي المطلوب الذي هو شرط من شروط الانسانية .

يقول هيغل الفيلسوف الالماني"بنياننا الثقافي متكامل تكاملا تأريخيا" وميرسيا ايلياد يقول" الانسان المعاصر يقدم نفسه ككائن تأريخي ، تشكل بفعل تاريخ الانسانية بمجموعه" ويؤكد دوكويا في تقرير التنمية الثقافية الذي اعدته لجنة شكلتها منظمة اليونسكو برئاسته ، وهو يتحدث عن الدور الذي يمكن ان تلعبه الثقافة في ولادة عالم جديد:" الصورة الاوربية للحداثة كانت تتنازعها يقينيات العقل وقناعات الموروث" ، ولنا في دور منظمة اليونسكومثالا يحتذى به فهي تحافظ على الارث العالمي دوما دون تمييز بين دولة واخرى ، من منظور القوة او الهيمنة او الثروة او الازدهار او التقدم وساذكر رؤية تطبيقية قدمتها الدكتورة نجاح العطار نائبة الرئيس السوري في عام 1978 في مؤتمر عقد في البرازيل بين منظمة دول امريكا اللاتينية وجامعة الدول العربية ، يهدف البحث الذي قدمته عن مزيد من التقارب ، وعن انماء علاقات المستقبل كما تضمن المؤتمر طرح مواضيع ثلاثة /اقتصادي وسياسي وثقافي ، يحاضر في كل يوم اثنان ،عربي ولاتيني يقدمان وجهتي النظر العربية واللاتينية وتجري المناقشات بعد ذلك، كان الحضور المشارك متميزا على المستوى السياسي والاكاديمي، وكانت الدكتورة العطار قدمت محاضرة تحت عنوان: الثقافة العربية تراثا ومعاصرة والعلاقات العربية اللاتينية المستقبلية ، تقول"خشيت وأنا ألقي موضوعي ان يثر حساسية ما، فقد افضت بالحديث عن الثقافة العربية والحضارة العربية وما قدمته للانسانية وان كنت لم اغفل عن التنويه بما حققته امريكا اللاتينية المعاصرة من ابداعات

رفيعة في المجالات المختلفة من اداب وفنون، وتضيف العطار: لكنني فوجئت باطراء رئيس الجلسة للموضوع الذي قدمت وتكرار موافقته على كل ما جاء فيه، ثم بنظيري اللاتيني يقول: كدت اطوي اوراقي ، واكتفي بما سمعت فكل ما اوردته المتحدثة له مصداقيته، وما قدمته الحضارة العربية للانسانية ، لايستطيع احد ان يجحده ، لولا انني احب ان اضيف بعض المعلومات التي تخصنا ، ومنها ان في لغتنا في جمهورياتنا المختلفة ، خمسة الاف كلمة عربية ، وتعرف الارجنتين، ان كلمات الملاحة كلها تقريبا عربية ، محرفة قليلا وتابع يؤكد،حجم ماهم مدينون به لحضارتنا العربية "انتهى كلام العطار ، الذي نستشف منه مايلي:

1- التاكيد على الهوية الحضارية المنبثقة من التراث التنويري امام الاخر يجعل منا ذو شأن امام الاخر المختلف والا لو لم تتحدث العطار سوى بما اخذته عن الغرب ،السؤال ماذا سيكون موقفها ، اكيد سيكون ضعيفا.
2- التأكيد على التراث التنويري وهذا يجعلنا امام نوعين من التراث:

أ- التنويري : وهو المهم بعثه للتقدم للامام والتأكيد على الهوية .
ب- الظلامي: وهو الذي يسبب ازمات المجتمع ومن هنا وجب على الباحثين والكتاب الاهتمام كثيرا بالوقوف ضد بعث هكذا تراث.

ملحوظتان:/

1- هذا الكلام ينبغي الا يفهم اننا كعرب يجب ان نعشق التراث ونتصنم له ، ونكتفي بالتغني به والخضوع له، مما يبقينا في حالة من الجمود الفكري المضاعف.
2- ايماننا بالتراث ليس انضماما في الماضي الذي مضى ، بل هو عودة الى حقيقة وجودنا ، وجوهر الوعي بهويتنا ومعنى الانتماء في ذاكرتنا والدفاع عن الهوية ، هو دفاع عن وجودنا ذاته يقول رئيس جمهورية كولومبيا السابق سامبر "اذا خسرنا معركة الهوية ، نكون قد خسرنا معركتنا الكبيرة للسيادة ، تلك التي تجعل منا اوطانا وليس ببساطة شعبا مرتبطا بلحظة

تاريخية " والوعي بالتراث لا يعني ابدا الرزوح تحت وطأته وان يرتهن حاضرنا به ،فنلغي الفكر ونكتفي بالاعتزاز بما كان، دون ان نعمل على بناء ما ينبغي ان يكون. ولا يجب ان يشكل الايمان بالتراث حاجزا يحول دون الدخول في العصر والتطور باتجاه الارتقاء ،بل يجب ان يكون عملنا للحاضر وللمستقبل الذي نستشرف ذاكرته التي نريد.

8- مقاييس تنمية الاعلام كأحد اهم جوانب الوعي المجتمعي....

اولا:

يعد الاعلام ميزة هامة تتميز بها المجتمعات الحديثة وهو برفعته يعطي دلالات هامة لتطور ورقي تلك المجتمعات حتى اصبح الاعلام مقياسا هاما من مقاييس التنمية المجتمعية التي تتبناها دولة من الدول، لذلك فالعلاقة ببين الاعلام والتنمية هي:علاقة جدلية مهمة فتنمية دون اعلام لن تجد لها صدى مجتمعيا ولن يعرف بها ابناء المجتمع حتى .

ولكي نصنع اعلاما يواكب تنمية حقيقية فنحن بحاجة الى مزايا مهمة يستلهمها هذا الاعلام لكي يقدم صورة واضحة الى العالم بأجمعه والى المجتمع المنطلق منه اولا.

وهذه المزايا كثيرة ولكن نستطيع تلخيصها بعدد من الجوانب يقف على راسها:

1- الاستقلالية : فاعلام تتبناه جهات فئوية او حزبية لن يقدم للجوانب التنموية الصناعية والزراعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ما يقدمه الاعلام المستقل الذي لا ينظر الى مصالح الجهة التي تتبناه بقدر ما ينظر الى مصالح عامة تخص المجتمع ككل.

2- الجوانب الهادفة التي يقدمها الاعلام ، من باب رصد السلوكيات المجتمعية الخاطئة وتسليط الضوء عليها من جوانب فكرية وعلاجية سلوكية وثقافية فيكون الاعلام بذلك مسلكا هاما يعطي للجوانب الفردية التي هي على مستوى الفرد او الجماعية يعطيها دفعات من الاصلاح ، فالاعلام له قدرة فائقة على بث جوانب الاصلاح المطلوبة مجتمعيا.

3- المصداقية: فالاعلام ينطلق من هذه الميزة ليحقق حضورا مجتمعيا ثرا دون ان تكون مصداقيته مغرضة دوافعها معروفة سلفا ، بل ان تكون علامة فعل اصلاحية مهمة ، تنقل الصورة الحقيقية للمتلقي سواء كان ذلك الاعلام مسموعا او مقروءا او مرئيا ، ان المصداقية اهم سمة من سمات الاعلام الحقيقي .

4- المهنية : فسلوكيات الاعلامي يجب ان تنطلق من مهنية رائدة في مجالها، والمهنية لها جوانب مهمة في رصد الحدث ووصفه ونقله، وبلغة سليمة بعيدة عن الخطأ لكي يكون

للاعلامي صورته الناصعة امام المتلقي ، اما اعلامي لا يفقه شيئا من اصول الاعلام المهني او جوانبه الاخرى لغوية كانت ام مهنية ، فهذا اعلام تنقصه الخبرة الزمانية والمكانية فقد يكون هذا الاعلامي وجد في الزمان والمكان الخاطئ.

5- توفير الفضاء المعلوماتي الهادف للاعلام: فنحن نعيش عصر العولمة ، وما بات المتلقي ينتظر فضائية او صحيفة لتلقي الخبر او الحدث بل بامكانه بنقرة زر وهو جالس في مكانه وهاتفه الذكي معه ان يتلقى الخبر والحدث بصورة مباشرة وبالصوت والصورة، فنحن امام سرعة تدفق السلع ورؤوس الاموال والافكار والاخبار والخدمات والبشر من مكان الى اخر دون حدود وقيود.

ان العلاقة الوثيقة بين الثورة المعلوماتية الكبرى التي تتمثل في البث الفضائي عن طريق الاقمار الاصطناعية وشبكة الانترنت من جهة والاعلام من جهة ينبغي ان تؤخذ هذه العلاقة في نظر الاعتبار فالعالم اصبح متصلا ببعضه على مستوى الدول والحكومات والشعوب والافراد ، ومن هنا ينبغي توخي الحذر في نقل الخبر والحدث فهنا تقع على الصحفي المهنية والمصداقية التي تحدثنا عنها.

6- التحليل للاحداث والاخبار :والتحليل جانب مهم من جوانب الاعلام ، فالاعلامي عليه ان يحلل الاحداث تحليلا منطقيا قبل قيامه بنقل تلك الحداث بعيدا عن وجهات النظر فالتحليل يجب ان يكون منطقيا علميا مدروسا من الجوانب كافة .

ثانيا:/

ديموقراطية المعلومات مصطلح من مصطلحات الاعلام الحديث

ان الاعلام الحديث يقوم على جملة من المقومات اساسية ومهمة للانطلاق به لتحقيق التنمية المرجوة وتقف على راس هذه العوامل ما يسميه البعض ب"ديموقراطية المعلومات" والتي تنهض على اساس اربعة مقومات:/

1- حماية خصوصية الافراد وتعني الحق الانساني للفرد لكي يصون حياته الخاصة ويحجبها عن الاخرين .
2- الحق في المعرفة ، ونعني حق المواطنين في معرفة كل ضروب المعلومات الحكومية السرية التي قد تؤثر على مصائر الناس تاثيرا جسيما من خلال الاعلام وليس المعلومات التي تخص امن الدولة .
3- حق استخدام المعلومة ونعني بذلك حق الاعلامي في استخدام شبكة المعلومات المتاحة وبنوك البيانات بسعر رخيص وفي كل مكان وفي أي وقت .
4- حق المواطن في الاشتراك المباشر في ادارة البنية التحتية للاعلام الكوني ومن ابرزها عملية صنع القرار على كل المستويات المحلية والحكومية والكونية ، وعملية صنع القرار يديرها الاعلامي مع المواطن من خلال تسجيل رايه وبثه في القضايا المحلية والعالمية والاقليمية على ان يكون رأيه هاما وواقعا في محله الحقيقي من رصد الافكار.

ان الاعلاميين اليوم مطالبين باستلهام هذه المعاني انفة الذكر لتكوين ما اسمي" ديموقراطية المعلومات" ولكن بذكاء جماعي وفردي والمقصود بالذكاء الجماعي هو القدرة على حل المشكلات المستعصية كالجهود التي يبذلها الاعلامي في مواجهة ازمة معينة في البلد سواء كانت على المستوى المجتمعي او الاقتصادي او السياسي او حتى البيئي ، كما ينبغي على الاعلامي ان يكون متسلحا بتحديات المواجهة ان وقعت المشاكل في رصد الحدث او اخذ المعلومة على الرغم من ان تقانة المعلومات لم تجعل فراغا وحجة للاعلامي باخذ الخبر من مصدره او من مصدر مقرب ولكن مع ذلك عليه ان يطور ادواته الذاتية المعرفية على المستوى

الاعلامي لكي يصنع جمهوره الخاص به لمتابعته وعدم الانفكاك عنه والبحث عن مصدر اخر غيره، فنحن في عصر الفضائيات المتعددة وانا غير ملزم بمتابعتك ان لم تدخل في عقلي ، لذلك بكبسة زر على الريموت كونترول سوف اغير عنك وابحث عن مصدر اخر للخبر ، من هنا على الاعلامي ان يستخدم تقنياته المهنية كافة لكي يجعلني انا المتلقي لا انفك من شاشته ان كنت اشاهده او اقرأه او انفك من سماعه وابحث عن اذاعة اخرى غير اذاعتك او اترك الصحيفة ان كنت اقرا لك وابحث عن صحيفة اخرى .
لذلك من يعجز عن تطوير ادواته المعرفية في المجال الاعلامي سوف يعجز عن جذب المتلقي اليه فعلينا صناعة طفرة معرفية لاصلاح واقع اداء الاعلام وعلى كافة المستويات ولاسيما اللغة وتقديم الملاحظات في موضوع السياسة اللغوية كما يسميها البعض والقادرة على نقلنا الى مجتمع المعرفة والانخراط في عملية الاستجابة التي يقتضيها مبدأ الحضور الكبير للاعلامي نفسه عند المتلقي اذا اتقن هذه الادوات.
كما علينا ان نعي ضرورة عدم وجود رقابة على وسائل الاعلام من اية جهة كانت على الرغم من ان الانترنت اليوم كوسيلة اعلامية تعذرت الرقابة عليه بشكل كبير حيث استطاعت هذه الوسيلة تحدي اشكال الرقابة التقليدية المفروضة على وسائل الاعلام في مناطق العالم المختلفة وبواسطتها تعرفت الجماهير على الكثير من التقارير الرسمية وغير الرسمية غير المسبوقة .يضاف الى ذلك ما توفره الانترنت اليوم من معلومات بلا حدود للصحفيين كلها ايجابيات تساهم في دعم ديموقراطية المعلومات .وفي العراق تخلص الاعلامي من الرقابة العقابية المتمثلة في كل أشكال العقاب أو التهديد به الذي تستخدمه السلطات المعنية ضد مستخدمي الانترنت من الاعلاميين مثل: عمليات القبض والاعتقال والحبس والتقديم للمحاكمة ، والتعذيب البدني والنفسي وتشديد الرقابة على مقاهي الانترنت والمدونات ، وهذا ما لا يوجد لدينا في العراق بسبب اتاحة

حريـة الاتصـال بشـكل كبيـر ... نطمـح ان نـرى اعلامـا حقيقيـا يعـد الماكنـة والركيزة الاساسية لتطور مجتمع ما.

9- العولمة والوعي في التغيير

أريد أن أتوقف في هذا الجزء من البحث مع العولمة وقدراتها على تصدير ثقافتي إلى الآخر، العولمة هي رؤية مهمة تجعلني أتابع أي شيء أريد متابعته ، اليوم ان أردت أن اقرأ القران واقرأ جميع تفاسيره واقرأ كل ما يدور حوله من دراسات استطيع ذلك عبر سلاح العولمة حيث الانترنت ، من خلاله استطيع الدخول إلى أي موقع يتناول القران بالبحث والتفسير ، من هنا أقول: ان العولمة بإمكانها تحقيق ما اسميه" تصدير ثقافتي" دون فرضها على الاخر ، وهذا ما يحاول البعض ان يفرضه على الآخر فمن خلال العولمة استطيع القول ان بإمكاني ان اصدر ثقافتي الى الآخر، او من خلالها افرض الثقافة وهذا ما لا نتقبله سواء فرضت علي ثقافة او افرض ثقافتي انا ، إن تحقيق الوعي في هذه المسالة في غاية الأهمية فالعولمة ليس من الصحيح نصب العداء لها وهي تعيش بيننا ، ان مجابهة العولمة ينبغي ان يكون ضمن إطار مرجعي للمجابهة فمثلا نسال سؤال: هل تستطيع منظمة الدول الإسلامية في مجابهتها أو الفرانكفونية بدولها المتعددة هل تستطيع مجابهتها؟ انا اقول انه من الصعب المجابهة بمنظمة واحدة وانما المجابهة تكون بمجموعة منظمات وانطلاقا من دول عديدة كي توحد خطابها تجاه العولمة بالقبول، بالجانب الايجابي منها ورفض ثقافة الفرض على الاخر ، وينبغي الا يقع المجابه للعولمة بما يعرف بالقصور الثقافي لان الشخص المجابه اذا كان قاصرا ثقافيا سوف لن يستطيع ان يجابه معرفيا، فمن الواجب ان تكون هنالك، اسسا معرفية رائدة في مجالها نستطيع من خلالها تكوين رؤية حقيقية انسانية مثلى للمجابهة مبنية على اساس فكري، اننا بحاجة الى تطوير العمل الثقافي للوقوف بالضد من القصور الثقافي الذي يقود الى رؤى غير قادرة على المواجهة والمجابهة، حيث يعتبر الدكتور "ثروت عكاشة" احد وزراء الثقافة المصريين :ان تطوير العمل الثقافي لايعني ابدا فصم الروابط بالماضي فالانسان تاريخ متصل، ولقد اثبتت التجارب الانسانية المعاصرة ، ان ثمة منهجا وسطا يجمع

الاهتمام بالجديد والقديم بصورة لا تناقض فيها ولا اضطراب ولعل ابرز هذه التجارب ما قام به اليابانيون خلال المائة عام، الاخيرة من تطوير فنونهم التقليدية مستعينين بالاساليب العلمية الجديدة في اعادة صياغة هذه الفنون دون ان تفقد روح اليابان الاصيلة لقد علمتنا هذه التجارب الا نضحي بالتراث، القومي بحجة التطور ، والا نجمد بحجة المحافظة على التراث بالنتيجة نحن بحاجة الى مسرح خاص بنا وسينما خاصة بثقافتنا وفلسفة ، نعم ننطلق مع الاخر في مناهجه العلمية والتعليمية والانسانية والفكرية ، ولكن مع خصوصية ثقافتنا فبذكر السينما نجد اليوم العالم يتسابق والسينما الامريكية تفرض نفسها على المجتمعات بصورة كبيرة لايتخيلها العقل ولكن هنالك سينما ظهرت على الساحة العالمية تفرض نفسها على انها موجودة على الرغم من هيمنة السينما الامريكية واخص بالذكر السينما الايرانية وقدراتها الجميلة والرائعة حين فرضت نفسها على الساحة الانسانية حتى اصبحت مقرووءة عالميا بالنتيجة استطيع القول ان السينما الايرانية حتى السينما الهندية او المصرية او الروسية ، قاومت المد العولمي الذي جاءت به السينما الامريكية وهكذا نجد ان هنالك تواجدا على الساحة العالمية المواجهة تعني ان اكون موجودا ، وعندما لا اقوى ان اكون موجودا تكون العولمة قد اكتسحت ثقافتي وفرضت ثقافتها لعدم قوتي على المواجهة ، ان احد الجوانب السلبية للعولمة هو هذا حيث لا توجد ترجمات كافية لكتاب اخرين سواء كانوا عربا او ايرانيين او برازيليين او يوغسلافيين كما يقول باولو كويلو الكاتب البرازيلي ، ويعتبر ايضا ان هنالك تقريبا ما يشبه التوجه نحو ثقافة مصطنعة تماما مارة عبر امبريالية ثقافية، وهي في هذه الحالة بالتحديد صناعة امريكية ولهذا ففي اغلب الأحيان لا تتوافر لدينا إمكانات كبيرة للاطلاع على ثقافة الغير ، ويضيف كويلو: كنت أتحدث مع صديق تركي حول جورج امادو ،الذي كتب كتابا حول اكتشاف الأمريكيتين من قبل الأتراك، وكنت اعتقد ان كتابا كهذا يهم تركيا ولكن صديقي قال لي: انه لا يعرف هذا الكتاب ، اذ لا توجد ترجمات كافية ، هناك امبريالية من نوع

هوليوودي جدا في العالم، وهي لا تعجبني كثيرا ولهذا عندما تسألني عن ذلك اقول : لسوء الحظ لم اقرأ للآخر لأنه لا توجد ترجمة طبعا ، هناك ترجمات جائزة نوبل ، هناك امين معلوف وهناك بن جلون، ولكن هذا لا يمثل كل الثقافة العربية ، وانا في هذا الجانب أنموذج ايجابي لان ما يستطيع ان يصل اليه البرازيلي فان كل العالم يستطيع الوصول اليه ، ان المسالة صعبة لانني اكتب بالبرتغالية ، التي تتحدث بها البرازيل والبرتغال فقط، اما انتم العرب فلا ادريكم؟ اربعة وعشرون بلدا ، والاسبانية 29 بلدا اليس كذلك؟ اذن فبما اننا قد تمكنا من تجاوز هذه الصعوبات ،فانتم ايضا تستطيعون تجاوزها.

حيث يتبين من حديثه القدرة الفائقة للثقافة البرتغالية على تجاوز حدود وضربات العولمة وهيمنتها الكبرى في حين ان العرب لم يستطيعوا حتى هذه اللحظة بكثرة بلدانهم على تجاوز العولمة وفرض رؤية حقيقية حولها لهم .

ملحوظتان:/

1- الوعي بالعولمة هو اسلوب حقيقي لتجاوز هيمنتها التي قد تؤدي الى الغاء الهوية والغاء الحالة التي تخص مجتمع شريطة ان هذه الحالة مبنية وفق منهجية علمية .

2- حركة الترجمة حركة مهمة اشار اليها الكاتب البرازيلي فيما سبق من حديثنا وهي التي يجب ان يضطلع بها ابناء المجتمع مستلهمين الرؤى الفكرية في الترجمة وضرورة ان تتنوع لافكارهم وفلسفتهم ، وان نقدم الى الاخر عبر الوسائل العولمية الانترنت وغيره لوضع اساسات حقيقية امام الاخر ووضع ثقافتنا بكل تفاصيلها امام الاخر ، ثقافاتنا المتمثلة برؤانا ورواياتنا ومسرحنا وفلسفتنا فبدون حركة ترجمة واعية وحقيقية لن نستطيع مقاومة المد العولمي واحداث الوعي المطلوب تجاهه.

10- رجالات الدين ومصادرتهم لحرية العقل في التفكير ....

لقد احتاجت اوربا ثلاثة قرون من الكفاح الفكري والعلمي للتخلص من الظلاميات الفكرية التي حكمتها والتخلص التام لم يتحقق الا في نهاية القرن الثامن عشر ، أي ان خمسة قرون او اكثر امتدت من القرن الثاني عشر الى الثامن عشر ، كانت ميدانا للصراع الفكري ، الصراع بين العقل والتنوير المطالب به، وبين الكنيسة والبقاء على النقل ، كان الوعي المطالب به انذاك شبيه بالوعي الذي نراه اليوم لدينا ، وعيا دينيا فقط والعقل كناشط انساني علماني غائب ومغيب ومع ذلك فالكنيسة كانت تصرح مرارا وتكرارا انها مع العقل والعلم ، وهذه التصريحات هي مجرد شعارات لا اساس لها كما نرى اليوم بعض المؤسسات الاسلامية تفتتح مراكزا ومعاهدا مسمياتها كبرى ولكن عندما تأتي لتتبين عملها الحقيقي تفزع منها فهي مجرد بنايات واثاث وسيارات واماكن فارهة ولكن دون نتاج علمي وانساني حقيقي، ومثالا على ذلك نرى ان جهة دينية تفتتح مركزا في مدينة البصرة اسمه"مركز التراث" وهو من المضحك المبكي فهو مركز ذو اسم رائع ولكنه لا يمت للبصرة بصلة ابدا، ولا بتراثها فعندما سألت عن المركز واذا به يهتم بجانب معين لا وجود له في تراث البصرة الا وهو : التراث الشيعي وكلنا يعلم ان البصرة ما كانت شيعية ابدا، نعم وجد فيها الشيعة كأقلية ولم يكن لهم وجود حقيقي الا مجموعة إخوان الصفا وكانت شيعية إسماعيلية ، فمركز بهذا الحجم وهذه الإمكانات يتخصص بتكريس تغييب الوعي وليس احداث وعي حقيقي مطلوب بتراث البصرة / المعتزلة والاشاعرة والمانوية والفارسية والعربية والهندية والسريانية ، وغيرها من

الحركات والمذاهب التي نشأت في هذه المدينة ولم تك شيعية بتاتا، والمركز الذي نضربه هنا كمثال هو من صنيعة المؤسسة الدينية لتكريس نفوذها داخل المجتمعات.
هذا مثال نسوقه له علاقة بموضوعنا الخاص باحداث الوعي الديني من قبل المؤسسات الدينية في اوربا ابان القرون الوسطى كان شبيها تماما بما تحدثه المؤسسة الاسلامية اليوم في مجتمعاتنا.
يحاول البعض ان يجمع بين الرؤى العقلية والدينية كما فعل المعتزلة سابقا مع الاختلاف ، حيث ان عقل المعتزلة في غالبيته عني بالرؤى التنويرية الجريئة لنقد الدين في حين عني عقل اوغسطين وغيره من الكهنة بخدمة الدين المسيحي ، ان اوغسطين القديس هو روماني ذو ثقافة اغريقية زاوج بين المبادئ المسيحية والعقل اليوناني ، وذلك في بدايات القرن الخامس الميلادي حاول انتاج ما يمكن ان يسمى :معقولية الدين ، ولهذا اعتبر بحق من المؤسسين الكبار للمسيحية اذ اصبحت المسيحية بفضله تمتلك الاطر النظرية التي تحجب التناقض الصريح داخل الرؤية اللاهوتية المسيحية كما اصبحت قادرة على ان تعقلن الخرافة الصارخة المتجلية في ممارسات رجال الكهنوت ، لاشك ان هذا العمل، التلفيقي سيقنع البسطاء والسذج وسيؤكد لهم بان ما ليس معقولا في تراثهم الديني اصبح معقولا، فقد قام اوغسطين، ب(درء تعارض العقل والنقل) واقام الصلح بينهما، فاصبح المنقول الصحيح موافقا للمعقول الصريح كما تعرف بذلك السلفيات الخرافية، في كل مكان وزمان ، هذا العقل تم وضعه لخدمة المسيحية فمركز تراث البصرة هو لخدمة المؤسسة الدينية في كربلاء وليس لخدمة المدينة وابنائها وتعريفهم والباحثين بعظمة التراث الذي أنتجته هذه المدينة.
نحن نعيش اليوم في ظل اجواء خانقة كئيبة تبعث على الفساد ، وتقمع كل محاولات الارتقاء بالفكر المجتمعي فلكي تكون اليوم سياسيا ناجحا عليك ان تحصل على رضا رجالات الدين، وان تقدم لهم الولاء الضمني والصريح والاشتغال في الرؤى العملية

التنويرية تجلب عليك النقمات والوصف السيء الذي تنعت به نتيجة استخدامك العقل استخداما نفعيا للمعرفة ليس الا ، فكل شيء يمكنك ان تخوض به الا الرؤى التنويرية فانها تجلب عليك ويلات ونعوت مرة ، فانت علماني ويقصد بها (كافر) وليس علماني بمعناها الاصطلاحي المتعارف عليه، ومرة انت ظلامي، ومرة (كافر) بصريح العبارة، واخرى زنديق، وغيرها من الأوصاف والنعوت التي يوصف بها من يشتغل في هذا المجال كما ان البعض يحاول ان يزاوج العقل والدين مزاوجة تامة ، وهذا ما لا يمكن بل من المستحيلات فالعلم يفرض اليوم فرضيات كبرى على الدين ان يقتنع بها والا اصبح دينا تعوزه القدرات المعرفية والعلمية كما اليوم.
فالعلم اليوم له الصدارة في كشف الحقائق الغائبة عن الانسان.
ملحوظتان:

1- لكي تطلب المطر عبر صلاة الاستسقاء حسب الرؤية الاسلامية ،لست بحاجة اليوم الى هكذا صلاة ، فالعلم اليوم يسير طائرة او يقذف صاروخا للسماء وبارتفاعات معينة يحمل املاح الفضة ويقوم ببذرها في الغيوم البسيطة مكونا غيوم كثيفة تعمل امطارا على المنطقة المراد انزال المطر فيها، كذلك اليوم العلم يعرف ما تحمل الانثى وما تغيض وليس فقط الاله وذلك عن طريق جهاز السونار نستطيع الكشف وبوقت مبكر جدا عن الجنين هل هو ذكر ام انثى وبالتالي خالف العلم اية صريحة في القران تحتكر معرفة جنس الجنين بالاله فقط واليوم اصبح جهاز السونار والاله يعرفان كلاهما ما في بطن الام.
2- كل شيء يمكن ان يسمح به رجال الدين وكل شيء يمكن ان يتسامح فيه المسجد الا الفعل المستقل بنفسه عن وصايتهم ، أي عن الانخراط في سياقات خرافاتهم وبما ان الانسان بطبيعته يميل الى التفكير والتجريب ويكره الوصاية والاكراه ، فقد عمد رجال الدين الى سياسة الترغيب والترهيب المستمدة اساسا من النص الديني لقمع اية بادرة من بوادر التفكير العقلي المستنير

خارج محاضنهم التي اعتبروها مركز اشعاع ايماني لا تخرج الحقائق الا من مشكاتها.

لقد قام رجال الدين ببسالة بنشر المواعظ الدينية بكثافة هائلة حتى اغرقوا الوجدان العام بها، فيما اسميته بطوفان الوعظ الفضائي ، وكانت هذه المواعظ مليئة بصور الجنة والعذاب على حد سواء تتخللها قصص وخرافات للقديسين منهم ، ينبغي على المجتمع ان يعي هذه الاشكاليات التراتبية بينه وبين رجال يدعونه للاستغراق في المد العاطفي بعيدا عن الرؤى العقلية النقاشية التي تؤدي الى المعرفة الانسانية .

11- التنوير وقدرته على احداث الوعي المجتمعي:

في هذا الجزء من الدراسة سنبحث عن مفاهيم مهمة في حركة التنوير والوعي التي نطمح ان نراها متجسدة في مجتمعنا ، والخوف اكثر من ظاهرة الركود للوعي، حيث يصبح المجتمع غير قادر على مواكبة الفكر الاصيل مستندا فقط على الرؤى البعيدة عن مرامي التطور والنهضة ، فالمحافظة على نمط فكري معين والاكثر من وضع الافكار والقضايا في قائمة المسلمات اليقينية التي تعتبر مقاربتها نقديا عدوانا على كيان المجتمع بأجمعه، وهذا يؤدي الى التراجع الفكري الذي قد يصل اليه المجتمع، وبما اننا معنيون بالتغيير في السياق الواقعي والسياق الثقافي بوصفهما وجهين لعمل واحد، في الفعل النهضوي ، بحيث لا يمكن لاحدهما ان يستأثر بدرجة من الحضور لا تتوافر للاخر ، فان انطلاقنا في هذا العمل من الثقافي خصوصا ، ناتج من افتراضنا افتراضا يمليه الاختصاص هنا، اولوية الثقافي على الواقعي في التغيير ، نفترض هذا مع ما في كل هذا من القاء للعبأ على الفاعل الثقافي وتحميله مسؤولية البداية كفكر من خلال تحميله مسؤولية النهاية على ارض الواقع هذه العلاقة بين الثقافي والواقعي هي التي تجعلنا ننظر الى الحركية التي نطمح ان نراها في مجتمعنا بعيدا عن السكونية التي تؤدي الى الركود المجتمعي والى هذا الخمول الذي يخيم على مناحي الحياة الاجتماعية فيما يمس البعد النهضوي خصوصا ، ان المجتمعات التقليدية بطبيعتها تحافظ على الافكار الموروثة ، ان المسلمات اليقينية هي اقسى حالة من حالات غياب الوعي التي نتحصل عليها، فالمسحة اليقينية تعني انا على صواب مطلق والاخر على خطأ

مطلق فهو يستحق النفي والتكفير والالغاء وهذه القسوة المجتمعية هي اخطر شيء يصله مجتمع من المجتمعات ، من هنا يجب الاتكاء على الفعل في معالجة القضايا المجتمعية الإشكالية الأخرى ، والعقل سيفجر الطاقة الإبداعية الكامنة عند كل فرد والتي هي بالضرورة مغايرة للآخر ، ومن خلال طاقة العقل يتم معالجة القضايا الكبرى في مشاكل المجتمعات ، ان تراكم التجارب والمعارف يقود الى التراكم الابداعي الذي يحتاجه أي مجتمع من المجتمعات لتحقيق رؤية فكرية بعيدة كل البعد عن التقليد الذي هو سبب مشاكلنا الكبيرة ، إن التقليد من حيث هو تقليد يستعيد المقولات التراثية الجاهزة ببغاوية ولا ينتجها ، لان التقليد ذاكرة وليس عقلا واذا قدر وانتجها في ظرف ما، فانه ينتجها بوصفها مقولات جماعية اجماعية ، لا بوصفها ابداعات فردية تحمل البصمة الفكرية لكل فرد، بكل مافي ذلك من ثراء في التنوع كبير ، ان سيطرة التقليد يعني ان تقل التراكمية الابداعية ، التي هي شرط حيوي للنهوض الحضاري، هذا ان لم تنعدم لكون الممارسة الفكرية للتقليدي هي مجرد استعادة لما انتج سلفا، أي :هي مجرد نقل الي ، ان التقليديين ليسوا سوى نسخة واحدة من التخلف والاجترار المعرفي، ان التخلف والاجترار المعرفي يسببان النكوص المجتمعي الذي بدوره يسبب مأسي المجتمع وتخلفه الكبير ، كما اننا نحتاج ان نبعد عن البطرياركية الابوية التي يستخدمها المد السلفي فهي حاضرة دوما في سياقات السلفية التقليدية .

فالسياقات السلفية التقليدية تقود الى التخلف الممنهج وفق الرؤية الدينية ولقد تناولت في اكثر من كتاب من مؤلفاتي الرؤى الممنهجة التي يستخدمها رجل الدين لتكريس التخلف وجعله تخلفا ممنهجا وعبر اليات خطابية للتواصل ، يستغل بها وعبرها كلمات مهمة وغاية في الاهمية لتكريس رؤاه المتخلفة ، فهو مثلا يطالب باستخدام العقل ولكن أي عقل، العقل الديني ومصفوفاته الغبية ، كذلك يستخدم رعب الاخر وترهيبه حتى المنتمي تخويفا لكي يسلك به سلوك الاتباع الاعمى مستخدما فضاءات تسمح بظهور أعراض

هذه التشوهات ، كذلك يستخدم الطريقة الرمزية الدوغمائية للسلوك بالافراد المنهج المشين، وبالتالي يعطي آليات انفراد تخصه فقط مستخدما هذه الآليات بعدم السماح بالمناقشة الفكرية خوفا من كشف سخف النظريات والمتبنيات الدينية ، ان العلاقة التي تشوب رجل الدين من جهة والرجل المجتمعي هي علاقة مشينة لا يخفى ما يجري حولها ومعها من سلوكيات لا تسمح بالنقاش العقلي المستفيض ، من هنا أقول نحن أمام تكفير ممنهج بكل من تسول له نفسه بفضح المؤسسة الدينية والسماح بوضع الفكر والعقل موضع نقاش مستفيض ، إن الأفكار هي بنات عقولنا وهذه الأفكار تقفز الى الأمام بما سمي بالطفرة لكي تحقق النجاحات العلمية والفكرية ، بعيدا عن الصعود التدريجي ، نحن بحاجة إلى القفزة وليس الصعود التدريجي.

ملحوظتان:/-

1- وضع الأفكار في قائمة المسلمات اليقينية هي افضع جريمة ترتكب بحق الفكر الحر القادر على تخليص المجتمعات من الدجل الفكري ،لذلك لا توجد مسلمات بل توجد رؤى تحررية فكرية .
2- نحن ضد التقليد لرجال الدين جملة وتفصيلا فلا يوجد هنالك تقليد لهم أبدا، ، التقليد والإتباع للعقل فقط وما دونه لا يصح، فرجل الدين يستخدم كل الرؤى الكفيلة بتكريس تخلف الأتباع كي يعمل عمله المشين بحق المجتمع.

12- الاخلاق واثرها في احداث الوعي:

في هذا الجزء من البحث سأتحدث عن الاخلاق واثرها في احداث الوعي وعلاقتها في الدين، كنت قد تحدثت مليا في كتبي ومؤلفاتي السابقة عن ديانة الخوف والديانة الاخلاقية ، ولكن لفت نظري تقسيم الفيلسوف اليهودي الرومانسي "هنري برجسون" للأخلاق والدين فلديه تقسيمات ملفتة للنظر ارى من الضروري مناقشتها فهو لديه التقسيمات التالية :

1- الأخلاق السكونية المحافظة : وهي الصادرة عن الغريزة وعن الضرورة الاجتماعية وتتكون في جملتها من عادات وتقاليد تفرضها جماعة من الناس لصيانة كيانها بحيث يعتبر خيرا ما يكفل هذه الصيانة ويعتبر شرا ما يهددها.
2- الاخلاق المتحركة المتعالية : صادرة عن الحدس الذي هو اعلى فعاليات الغريزة ، حيث تتجاوز هذه الاخلاق حدود مجتمعها وترمي الى محبة الانسانية قاطبة ، وتظهر في بعض الافراد الممتازين ممن يسمعون في انفسهم نداء الحياة الصاعدة فيتملكهم انفعال خالص فائق لمستوى العقل شبيه بالانفعال الموسيقي الذي لا يتصل بشيء .

ولايرى برجسون ان هناك انفصالا حادا بين هذين النوعين من الاخلاق، بل يرى ان الاخلاق الاجتماعية المحافظة بما فيها من ضغط والاخلاق المتحركة المتعالية بما فيها من فورة محبة مظهران طبيعيان للتطور الحيوي ومرحلتان ضروريتان في تقدمه.

وقبل الخوض في حديث عن الدين عند برجسون واثره على المجتمعات، اعتقد انه لم يكن موفقا تماما في حديثه عن اهمية الاخلاق السكونية ، فهذه الاخلاق قد تكون في معظمها مجافية للواقع الانساني خصوصا ان الكثير من العادات والتقاليد باتت تشكل

اساسا سيئا للتعامل بين افراد المجتمع كونها تنطلق من معتقدات ليس لها علاقة بالاخلاق بتاتا، فالعادات والتقاليد مسيئة في غالبيتها ، فما معنى مثلا ان تحبس المرأة في البيت بدعوى الحفاظ عليها ضمن العادات والتقاليد فمثل هكذا عادات هي منافية للاخلاق الإنسانية العالية التي نطمح بتحقيقها مليا، وبالتالي اعتبار أهمية للاخلاق السكونية المحافظة هو مما نعترض عليه فكريا.

اما الأخلاق المتحركة فهي التي نطمح اليها فهي متجاوزة لحدود اماكنها وزمانها وهي ترتقي بالمجتمع الى مكانه الحقيقي بين المجتمعات.

اما نظرته للدين الذي هو احد مصادر الوعي السلبي اذا استخدم سلبا فهنالك لديه:

1- الدين السكوني المحافظ : ان وظيفة الدين ليست الا امتدادا لوظيفة الاخلاق عند برجسون ، فالدين السكوني المحافظ ليس الا جزءا جوهريا من تكوين المجتمع المحافظ ، وعاملا اساسيا داعما للاخلاق السكونية المحافظة لذلك يقول: ان الدين قد قام دائما بوظيفة اجتماعية ، وهي العمل على تدعيم مطالب المجتمع وشد أزره، وهو يرى ان الدين امر ضروري لا غنى عنه لقيام أي مجتمع(وقد نجد في الماضي او في الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم او الفن او الفلسفة ولكن ليست ثمة مجتمع بلا دين) ويدور تفسير برجسون لوجود الدين السكوني المحافظ وضرورته حول ثلاثة عوامل اساسية : هي : الغريزة والعقل والملكة الخرافية .

ويقول برجسون(ان الدين السكوني وجد لاتقاء الاخطار التي قد يأتي بها العقل) وهذه اشكالية كبيرة يقع بها برجسون ، طبعا لانه فيلسوف وجد في زمن معين ما زال للدين قيمته فيه عند الاوربيين ، ولكن يبقى الامر ان برجسون هو متدين في درجة معينة لذلك يوقف العقل امام الدين ويعتبر الدين السكوني محافظا امام الاخطار التي يقوم بها العقل اما اليوم فانا اقول : ان العقل فوق الدين بل الدين هو احدى نتاجات العقل البشري ، على الرغم من ان برجسون

يعتبر ان الملكة الخرافية هي المسؤولة عن ابداع الدين السكوني ، فالغريزة تستخدم هذه الملكة لانتاج المعتقدات الغيبية والدين السكوني بصورة عامة، فميدانها تخلق الارواح وتخلق الالهة .

والوظيفة الأخرى للدين السكوني إضافة إلى معارضته للعقل في المواقف الخطرة ، هو ابطال مفعول بعض الأفكار والتصورات التي يشكلها العقل استنادا الى تجارب الإنسان وخبراته ذلك لأنها تؤثر تأثيرا سلبيا في قدرته على تحمل أعباء الحياة والتشبث بها، لأنها تضعف إخلاصه للجماعة ومن كده الدائم في سبيلها .

اذ ان الدين السكوني لدى برجسون ، هو دين خامل خرافي يعمل على تقييد الانسان ووضعه ضمن واقع حقيقي بل اميل الى الخرافة منه الى الواقع ، ان الحقائق التي يتوصل اليها العقل مثل (حقيقة الموت) تثبط عزائم الانسان وتضعف تمسكه بالحياة ، وخدمة المجتمع لذلك تفعل الغريزة فعلها عن طريق زرع الأفكار الدينية ، في عقله كفكرة البقاء بعد الموت ،فالملكة الخرافية للغريزة هي :اسم يعطيه برجسون ، للتفاعل بين بعض فعاليات الغريزة في الإنسان وبين العقل الذي يميز الإنسان عن باقي الحيوانات ، ونتيجة لهذا التفاعل تتولد التصورات والأفكار الدينية ، ويمكننا ان نستخلص من تحليل برجسون للدين السكوني ، ان الإنسان لو اقتصر في معرفته على التصورات الصحيحة والأحكام الصادقة التي يشكلها الفعل عن الكون دون ان يلجأ للمعتقدات الدينية والخرافات لما تمكن من ان يستمر في الحياة .

2- الدين المتحرك:اذا كان الدين السكوني المحافظ ينطلق من الغريزة لمواجهة ما قد يتركه الفعل من اثر مرهق للفرد ومفكك للجماعة فيحمل الفرد على التشبث بالحياة وبالجماعة ، فان الدين المتحرك المتعالي ينطلق ايضا من الغريزة ولكن في اسمى فعالياتها الروحية ، وهو انفعال صرف مستقر عن السنة واللاهوت والكنائس يظهر فيه بعض الناس الممتازين الذين هم المتصوفة (الذين لا يرون في الله الا المحبة).ولو نشاء ان نضرب امثلة عليه فهي كثيرة ومنها : ان من عادة قبيلة

(الكايـابو) الامازونيــة ان يربــوا صــغار القــردة وغيرهــا مــن الحيوانـات ، التـي يصطادونـها اذا وجدوها قد ضلت طريقهـا .. دين انساني متحـرك (تشيب بـراون، الكايـابو ، مجلـة ناشيونـال جيوغرافيك ، ينـاير /2014، ص26)

ملحوظتان:/

1- الاخلاق سبقت التدين في كل المثل الانسانية العليا والاديـان هـي انساق ثقافية جاءت لترسخ المبـادئ والمثـل العليـا ولكـن ادلجـة النصـوص التـي اوردتهـا الاديـان افقـدتها قيمتهـا الانسـانية التـي وجدت من اجلها.

2- الدين المتحرك المتعالي = التصوف في فلسفته الروحية .

فالـدين السكونـي يـوفر خلاصـا جزئيـا ، امـا المتحـرك المتعـالي يـوفر خلاصا كليا مهما جدا.

13-المؤسسة الدينية واثرها السيء في مصادرة الوعي:

عندما يتحقق الوعي عند بعض المجتمعات ، تقوم المؤسسة الدينية بالتصدي الى هذا الوعي بالملاحقة والمصادرة حيث تلغي ادوار معرفية غاية في الروعة ، من هنا نرى مثلا ان الازهر صادر رؤى وافكار :علي عبد الرازق عندما اصدر كتابه"الاسلام واصول الحكم" عندما خالف افكارهم بشجاعته باعتبار الاسلام يخلو من نظام للحكم او عندما طالبت المحكمة بالفصل بين نصر ابو زيد وزجته عندما خالف افكارهم باصداراته ومؤلفاته القيمة، في الخمسينيات اصدر اسماعيل ادهم كتابا عنوانه :انا ملحد ، فأصدر احد الاسلاميين عنوانا مخالفا له عنوانه: انا مؤمن ، وهذا شيء جيد ، اني اقابل الفكر بفكر اخر وليس بتقنية الالغاء ، ان واجب المثقف اليوم هو العمل وفق هذه الرؤى المهمة في توعية المقابل بضرورة عدم استخدامه الية الالغاء، طبعا هنالك اشكاليات في القيم والمجال المعرفي تنتج الغاء الاخر ، وهنالك استصحاب التاريخ المشوه والمكتوب من قبل السلطة لالغاء الاخر ، كما ان فوبيا التخلف الاقتصادي والاجتماعي تؤدي الى الغاء الاخر لانه يؤدي الى التطرف حتما، كما ان للرمز الديني تأثيره السلبي عندما يقدس ويصبح ممنوع الحديث عنه، فالرمز الديني يشير بواقعية تقديسه ،الى اشكالية كبيرة جدا، من هنا نحن بحاجة الى ان نقف مليا مع التاريخ المكتوب من قبل الحكام ومثقفي السلطة الذين انتجوا تاريخا مغايرا للمالوف بعبارة اخرى ، ان تحطيم القيم التنويرية المستخدم من قبل سدنة المؤسسة الدينية يؤدي الى تشبيه جميل تكلمت عنه حضارة المايا حيث تقول الانشودة:/

في الزمن المقبل
ستنحني الرؤوس لكهنة اجانب
مطأطئة لالهة غرباء

من يعيشوا يعيشوا انصاف رجال
رؤوسهم في المقاطر حبيسة
الزمان سيكون زمان الشر
وقصف الرعود المستمر
ويصير فيه الحكماء اغبياء
ويعمى الانبياء

ويتبين من النص التاريخي هذا عندما تسود المؤسسة الدينية ، على المجتمعات نجد الرؤوس المليئة بالافكار الحرة ، ممكن ان تنحني وتنتشر اليات التقديس ويصبح كل شيء تابع للاله، والزمان سيكون زمان الشر ولكن المشكلة ليست في كل هذا بل ان يتحول الحكماء والمفكرون الى اصحاب حركات عنفية وهذه هي الاشكالية الكبيرة ، نحن بحاجة الى الوعي تقول البوذية : (سواء وقف او مشى او جلس او استلقى الانسان فما دام مستيقظا عليه ان ينمي هذا الوعي الحريص) ، فالوعي ديدننا وملاذنا من قوى الخرافة والظلام، كذلك تحدد الديانة الهندوسية بنص مهم جدا اليات التفاعل مع المنطق والعقل والفكر يقول النص: (يا حبذا لو يكون نطقي منسجما مع عقلي ، ويا ليت فكري يكون متفقا مع كلامي)، وهذا نص مهم فيه ملمح من ملامح التفكير السليم.
كما اود ان اضيف ان واحدة من اهم اشكاليات الوعي لدى المثقف هي اسقاط التسميات الفكرية الحديثة على حوادث تأريخية بعينها وهذه مشكلة كبيرة ، لذلك انا اعتبر انه من الخطأ الجسيم ان نسم على سبيل المثال (ثورة الزنج)، وبالخصوص العبيد الذين قادوها ب(عمال بروليتاريا) كما سماهم العلبي في كتابه عن الثورة ، وكذلك ان نقول عن شعر عروة بن الورد انه حداثي مثلا ، كما وصفه فاروق شوشة ، فهذا خطأ كبير ، الا ان الاديب محمد صالح عبد الرضا يعتبر انه من المفروض الا نقول ان عبيد الزنج عمال بروليتاريا ولكن نقول ، ان فيهم ملمحا بروليتاريا فالمصطلح فيه انساق عديدة اما الملمح فهو يحتوي على عدد من تلك الانساق

فمثلا قد يكون العبيد تشابهوا مع العمال البروليتاريا بملمح البروليتاريا بعدة انساق وليس كل المصطلح البروليتاري أي فيهم ملمحا بروليتاريا كأن يكون :

1- الثورة ضد الظلم.
2- تحرير الاموال من يد الاقطاعيين والمحتكرين.
3- اشاعة العمل للطبقة العاملة ... وهكذا .

ولكن البروليتاريا كمصطلح يختلف جذريا في سياقه الزمني والمكاني، وانا اؤيد ما جاء لدى الاديب محمد صالح عبد الرضا ، فهو قد اشتغل على هذا المفهوم ، في رسالته للماستر حيث اعتبر ان شعر عمر بن ابي ربيعة فيه ملمحا سرديا وليس كله سرد ، فالسرد كمصطلح يختلف بسياقه عما ورد لدى ابن ابي ربيعة من رؤى في السرد، واني بهذا القول اكون قد تبنيت وجهة نظره في تسليط ملمح يحوي على عدد من الانساق المعرفية على قضايا تاريخية دون تسقيط المصطلح نفسه بسياقاته وانساقه الفكرية والفلسفية والزمنية والمكانية على ذلك الحدث التاريخي فبالامكان القول ان الملمح الحداثي وجد في بيت الشعر الذي قاله عروة بن الورد :

أقطع جسمي في جسوم كثيرة   واحسو قراح الماء والماء بارد

فالملمح الحداثي يحوي على عدة انساق وليس الحداثة كمصلح فلسفي ادبي فلا نقصده ابدا كما يقصده البعض من الكتاب والفلاسفة .

ملحوظتان:/

1- استلهام بعض النصوص التاريخية لاحداث رؤى تنويرية في الحاضر مهم جدا كما بينا عبر النص المستلهم من حضارة المايا او من بوذا او من الهندوسية .
2- الخوف من التقديس للشخوص والرموز الدينية كونه ذو اثر كبير والمهم في اشاعة ضرب الاخر منهجيا ، فعندما تقدس

قطعة قماش ويقتل على اثرها بشر ، اعتقد ان البشر هؤلاء هم في حالة من اللاوعي الجمعي المتناثر في سياق يخلو من أي مفهوم حضاري .. وهنالك علة علمية في ان يتبنى العقل مفهوم اللاوعي الجمعي سنناقشه في المبحث التالي...

14- اللاوعي الجمعي طقوس عاشوراء وكومبة ميلا نموذجا:

نحن بحاجة الى فهم الخطوات المتقدمة المذهلة التي نخطوها باتجاه فهم ، آلية اشتغال الدماغ البشري ، وقد منحت الحكومة الامريكية هذا البحث كامل دعمها من خلال مبادرة BRAIN INITIATIVE وكان الرئيس اوباما قد اعلن في ربيع /2013 ان هذا المشروع الضخم يهدف الى تسريع عملية رسم خرائط داراتنا العصبية ما يمنح العلماء الادوات اللازمة للحصول على صور ديناميكية للدماغ وهو في حالة العمل، على حد تعبير الرئيس الأمريكي ... اذن من خلال هذا الكلام يتضح اهمية الدماغ البشري وعظمته في حكم الكون فاذا كان هذا الجزء الحيوي من الانسان يغيب عن الوعي في بعض الطقوس الدينية التي يتجمع فيها ملايين البشر لاحياء مناسبة دينية مهمة لديهم في حالة من اللاوعي الجمعي ، ففي موسم (كومبة ميلا) الهندوسي وهو اكبر مهرجان ديني في العالم، يمكن ان يجتمع ملايين الناس ليؤدوا طقوسا بعينها ، ومنها الاغتسال في النهر في مدينة (الله اباد) بالهند ، وعلى الرغم من مياه النهر الملوثة وبرده القارس وظروف الازدحام الشديد يقول هؤلاء الحجاج: انهم يعودون الى ديارهم وهم في وضع صحي افضل مما كانوا عليه عند قدومهم ويمتد 18 جسرا عائما على نهر الغانج لتسهيل مرور الحجيج خلال الموسم الديني وتستقبل مدينة الله اباد الملايين منهم خلال مدة تبلغ 8 أسابيع لخدمة هذا الحشد البشري الهائل الغائب عن الوعي . كما ويتعين على القائمين على الموسم توفير كل الاحتياجات من أغذية ورعاية صحية ومرافق أساسية ، بعد هذا الرصد لهذا المثال الكبير لحالة الغياب عن الوعي المجتمعي تورد الباحثة (لورا سبيني) من (مجلة ناشيونال جيوغرافيك) حالة اغتسال حشد يقدر ب7 مليون شخص في يوم واحد في نهر الغانج خلال الموسم وتنقل عن شرطي يواكب هذا الحشد قوله :انه ليس بمقدور كل شخص بمفرده ان يؤدي هذا الطقس ، فهم يستمدون القوة والطاقة من بعضهم بعضا وتقول

الباحثة لورا: قد كانت طاقة ما تصدر عن الحشد مجتمعا تفوق في زخمها وشدتها ما يمكن ان يصدر عن كل فرد منه على حدة وتستشهد بعالم الاجتماع الفرنسي (اميل دوركايم) الذي عاش خلال القرن التاسع عشر قوله واصفا هذا المشهد :الانفعال والجيشان الجماعي (COLLECTIVE EFFERVESCENCE) .
ذلك انه كان مقتنعا ان للحشود وقعا ايجابيا على صحة الافراد ما يهمنا من هذا المبحث هو : القوة الدماغية اللاواعية التي تتسبب في كل هذه الحشود بمواسم معينة ليست فقط عند الهندوس بل عند المسلمين ايضا ، في مواسمهم فالجذر الايديولوجي للاديان واحد من ناحية الدوغمائية .

تنتشر في الغرب فكرة على نطاق واسع مفادها ان البشر عند تجمعهم يتخلون عن هويتهم الفردية وعن صفات مهمة منها: القدرة على التفكير المنطقي والتصرف وفق النمط الاخلاقي السائد ، فكما نلاحظ مثلا عند الهندوس انهم يغترفون من نهر الغانج غير عابئين بمياهه الملوثة ، ذلك بانهم يعتقدون ان هذه المياه تحوي رحيق الخلود ، نجد الزوار الشيعة يغسلون الملابس المتسخة لبعضهم ويشربون مياهها للتبرك، فالصورة واحدة من البعد عن التفكير المنطقي ، يقول عالم النفس (ستيفن رايكر) من جامعة سانت اندروز في بريطانيا: تشير الابحاث التي نجريها الى ان الحشود تعد مكونا مهما بالنسبة للمجتمع فهي تساعد على تشكيل احساسنا بالهوية وبناء العلاقة بالاخرين وتحديد مستوى الصحة الجسدية ، وجاء رايكر الى مكان الهندوس حيث يلتقي نهر الغانج المقدس لديهم مع نهري يامونا ونهر ساراسواني، الذي يرد في اساطيرهم وفي هذا المكان وحسب النصوص الدينية الهندوسية ، نشب صراع مستحكم بين الالهة والشياطين على قارورة تحوي رحيق الخلود، فانسكبت بضع قطرات منها في هذه البقاع التي تحج اليها الحشود فعندما يغتسل الهندوسي في هذه الانهر الثلاثة يخطو خطوة نحو الجنة .
وفي كل عام يحج ملايين الناس الى مدينة(الله اباد) لاداء هذا الطقس خلال تجمع يسمى (ميلا) وفي كل 12 عام عندما يتفق الناس على ان

تعامد النجوم اضحى بارزا للعيان يتزايد نطاق هذا الجمع، ففي عام 2013 قدر عدد الاشخاص الذين تواجدوا بحوالي 70 مليون شخص على مدى 56 يوم، وكانت فيه مواكب غريبة لكهنة الهندوس فقد رؤوهم عراة متلاحمين يغطون اجسادهم في الرماد، ولو قمنا بمقارنة بين موسم كربلاء عند المسلمين الشيعة وما يعرف بالتحديد بزيارة الاربعين او حتى عاشوراء وبين موسم (ميلا) الهندوسي لراينا المقارنة المهمة التالية :/

ت	موسم كربلاء	موسم ميلا
1	تصل الاعداد الى 15 مليون زائر سنويا في الموسم	تصل الاعداد (30-70) مليون زائر سنويا في الموسم.
-2	يقصد الزوار مدينة كربلاء المقدسة لدى الشيعة	يقصد الحجيج مدينة مقدسة لدى الهندوس هي : الله اباد.
-3	يقوم الناس بأمور غير منطقية منها غسل الملابس المتسخة وشرب ماء الغسل للتبرك به.	يقوم الناس بالشرب من نهر الغانج الذي يعتبر ألوث نهر في العالم بسبب مياه الصرف الصحية والنفايات الصناعية .
-4	يحول الناس المدينة اثناء الزيارة الى مدينة ملوثة ومكان قذر جدا .	يحول الناس نهر الغانج الى الوث نهر في العالم اثناء موسم الزيارة .
-5	يزور الناس المدينة اقتفاء لزيارتها من قبل الناس المقدسين الذين زاروها في المناسبة المعينة حسب الروايات التاريخية	يزور الناس المدينة بسبب اسطورة تقاتل الالهة على رحيق الخلود.
-6	تستخدم اثناء الموسم مكبرات الصوت التي تبث ما يعرف باللطميات والاناشيد الدينية	تستخدم مكبرات الصوت التي تبث الموسيقى والخطابات الدينية والاعلانات العملية على مدى اليوم والليلة ويتراوح مستوى الضجيج داخل هذه

		الخيـام مـابين 76و95 ديسـيبل وهو مستوى عال.حسب مجلـة ناشيونـال جيوغرافيك
-7	ترافـق الموسـم مواكـب كبيـرة تجـوب المدينـة المقدسـة تكـون فيها مظاهر غريبة منها تطيين الاجســاد وضــرب القامـــات والزناجيـل والسير شبه عـراة في بعضها لغرض اللطم	ترافق الموسم مواكب يقوم بها كهنـة الهنـدوس يطوفـون عراة ويغطون اجسادهم بالرماد.
-8	يصف اغلب الحاضرين الموسم بعـد عـودتهم بـانهم ارتــاحوا نفســيا وكســبوا رضـــا الله وشـفاعة الحسـين وجـده يـوم الحساب ويصف بعض الزائرين الشيعة الموسم قـائلا: تجعلنـي زيـارة الحسـين انسـى المشـاق والصـــعاب التـــي تعترضـــني واشـعر بالراحـة النفسـية علـى الرغم من التعب الجسدي.	يصـف اغلـب الحاضـرين انهـم بعد انقضـاء الموسم، يعود في كل مرة الى بيته وهو في حالـة صـفاء ذهنـي افضـل ممـا كـان عليه عند قدومه ويصف بعض الزائــرين الموســم قــائلا : ان العـيش بـين الالهـة يسـاعدني على نسيان المشاق والصعاب فيصـبح ذهنـي صـافيا وجسـمي سليما.
-9	ترافــق الزيــارة مواســم مشــي على الاقدام	ترافــق الموســم مشــي علــى الاقدام بسبب الزحام الشديد.
-10	يعود اغلب الزوار الـى ديـارهم منتشون وبطاقة بدنية اعلى .	يعـود اغلـب الحجـيج بـنفس مـا ورد في موسم كربلاء .
-11	تكـون عناصـر الالفـة والمحبـة بـين النــاس علــى اشـدها فتـرى النــاس يعــالجون الــزوار وانــاس يطبخـون لهـم ويعملـون الخيـام لهم.	وهنــا يثــار ســؤالا لــم يكــون الانتمـاء الـى جمـع مـن النـاس اثـر ايجـابي فـي صـحة المـرء؟ تكــون هنالــك عناصــر محبــة تجمـع النـاس ومسـاعدة كبيـرة بيـنهم والفـة كبيـرة جـدا يعلـق

		عليها (نيك هوبكنز) من جامعة داندي في بريطانيا: ان الفرد يفكر في هذه الحالة بمنطق(نحن)لا(أنا) وهذا بدوره يعمل على تغيير علاقة المرء بالاشخاص الاخرين وان ما يقع هو تحول جذري في نظرة المرء الى الناس اذ ينتقل من تصنيفهم في خانة الاخر الى شعوره بالمودة والالفة تجاههم وتصير المساندة مسالة اخذ وعطاء ويتحول التنافس الى تعاون ومن ثم يستطيع الناس ان يحققوا اهدافهم على نحو لا يستطيعون تحقيقه بمفردهم وهو ما يستدعي المشاعر الايجابية التي لا تجعلهم يقاومون المعاناة فحسب بل يعملون على تحسين صحتهم ايضا وهذا الكلام ينطبق تماما على شعائر كربلاء.
-12	تعتبر هذه الحشود الزيارة الموسمية مكانا لتفريغ الضغط النفسي المسبب للكثير من الامراض من خلال التفاعل الاجتماعي.	قد اثبتت التجارب ان الحجيج اصبحوا اكثر استجابة للتعافي من امراض كثيرة بسبب التفاعل الاجتماعي .
-13	تحدث حوادث كثيرة نتيجة التدافع والتقاتل على الوصول	تحدث حالات تدافع في نهر الغانج تؤدي الى حالات وفاة

	لـبعض الامــاكن المقدســة ممــا يسبب حالات اختناق ووفات.	كثيرة .
-14	تخطط السلطات لبنـاء مجمعات كثيــرة تسـبق الموسـم مجهـزة بـامور يحتاجهـا الزائـر مـن اكـل وطبابة وشرطة للحمايـة وتـدار في نجاح	نفس الشيء في مجال الخدمات
-15	ممكن ان ترافق الحشـود اعمـال عنفية اذا اثيرت بشكل مقصود وتكـون لـديها شـعارات رفـض الاخر المختلف	بنفس الطريقة

ولاينكر علماء النفس امكانيـة وقـوع أمـور سيئة كمـا تقـول الباحثـة (لورا) من ناشيونـال جيوغرافيك داخـل الحشـود فـاذا كـان هـدف احـد هذه الحشود هو :التدمير فان هذا الهدف هو المتحقق.
كما ويشخص الباحث (دانييل سيبرا لوبيز) في قراءته لطقوس قبيلة غجريـة برتغاليـة ويؤشـر المؤشـرات الاجتماعيـة للقبيلـة البرتغاليـة كالاتي: ويشرح الباحث الاطار التفاعلي في التحليل حيث هدف الى مقاربة أي سلسلة من الاحداث الطقوسية ، ويبدا هذا الاطار بتحديد ثلاثـة مواقـع او ادوار بنيويـة رئيسـة يتـولى المشـاركون بهـا :اولا : موقــع المــؤدين (ACTORS) ، أي اولئــك الــذين يتولــون اداء الطقــس والتــدخل المباشــر بــه ثانيــا، موقــع المتلقــين (RECEPTORS) ، أي اولئـك الـذين يوجـه الـيهم اداء الطقـس ويفتــرض ان يــؤثر فــيهم ويحــولهم ،ثالثــا: موقــع المتفرجين(SPECTATORS) ، أي اولئك الذين يشـاهدون اداء الطقس ويشـهدون عليـه دون ان يشـاركوا بـه فعليـا، فـي الظـروف الرسمية للطقوس ، يستند هذا التقسيم الثلاثـي الـى تقطيـع ثلاثـي لمكان اداء الطقوس وهو يتوافق مـع تعريـف الموقف الـذي تفرضـه المناسـبة ذاتهـا، اذ مـن المتوقـع ان يتفـق المـؤدون والمتلقـون

والمتفرجون مع اهداف اداء الطقوس بشكل يؤدي الى خلق اجماع تفاعلي بين ادوارهم او مواقعهم ، كل موقع على حدة. ومما لا شك فيه ان المواقع انفة الذكر قد تكون قابلة للتبادل الى حد كبير ،فالمتفرج قد يصبح مؤديا ، كما قد يصبح المؤدي متلقيا رئيسا ، وقد يكون هناك ايضا مستويات مختلفة من المتفرجين او المؤدين او المتلقين، حيث ان ذلك يتوقف على عدد سلاسل الاحداث ، التي تتم مشاهدتها وعلى التعديلات التي تخضع لها تلك الاحداث ، والملاحظ لهذا التقسيم نراه متشابها جدا مع طقس ما يعرف بركضة طويريج في كربلاء حيث نرى المؤدين موجودين وهم الراكضين الذين يتولون اداء الطقس، والمتلقين الذين يوجه اليهم الطقس عبر تواجدهم في مكان الركضة على جانبي الطريق وممكن ان يشاركوا فيها والمتفرجين الذين يشاهدون الركضة دون ان يشاركوا فيها ويشاهدوها اما بتواجدهم في مكان الحدث او عبر الفضائيات الممولة من قبل صناع الوعي في هذا المجال والمتفرج في مكان الحدث ممكن ان يصبح مؤديا ... من هذا المثال نرى التشابه الواضح في طريقة اداء الطقوس بين هذه القبيلة الغجرية البرنغالية وبين مؤدي ركضة طويريج تشابها ايديولوجيا مهما ، هذا من باب ومن باب اخر يشير الباحث (دانييل) في معرض حديثه عن هذه القبيلة البرتغالية بانك تميز لديهم سلسلة طقوس منها موقع الوسطاء ،أي الاشخاص والملابس والاشياء والحيوانات الذين يساهمون في بناء علاقة بين المؤدين والمتلقين او بين المؤدين والمتلقين والمتفرجين ، وهنا تتشابه كثيرا هذه القضية مع قضية طقوس عاشوراء حيث نرى ما يعرف لدى الحجيج ب(التشابيه) حيث نرى الملابس التي تخيط لهذا الغرض ونرى الحيوانات من جمال ومجموعة حصن تستخدم لتصوير حادثة كربلاء وتقريبها للاذهان واشخاص مؤدين واشياء كثيرة من اعلام وصناعة سفن لها دلالات معينة وصور تصور الحادثة وتماثيل وغيرها من الاشياء التي تعتبر ضمن موقع الوسطاء الذي وصفه (دانييل)في القبيلة.

كذلك هنالك موقع المؤسسين أي:مبتكري الطقس وهذا الموقع يتمثل عادة بالمجتمع والجماعة حسب رؤية دوركايم، او باحد الاسلاف لكنه قد يتمثل بشخص او مؤد محدد ، وكل هذه الشخوص المبتكرة للطقس موجودة في طقوس عاشوراء فالمبتكر موجود والمشجع عليها والممول اليها والمشجع على تمويلها موجود وبقوة كبيرة على الساحة . حيث ان المؤسسة الكبرى الراعية لهذه الطقوس تعمل على بقائها لان في بقائها التمويل المادي الكبير الذي تعتاش عليه وبدون هذه الطقوس ستفقد المؤسسة المسؤولة تمويلها الكبير الذي يسهم اسهامة كبيرة في رفاهيتها ورفاهية من يتصل بها.

ملحوظتان:/

1- هنالك حشود جسدية وحشود نفسية ،الجسدية كالمسافرين الذين يتدافعون لركوب القطار ،تعوزهم الهوية المشتركة ،اما الحشود النفسية فهم كحشود(ميلا) و(كربلاء) وهذه حشود تشعر بالغبطة والسعادة بشكل كبير .
2- يقول مارك توين عام 1896م واصفا موسم ميلا الذي حضره (ان قوة اعتقاد لهذا الامر يثير العجب ، اذ بامكانها دفع حشود هائلة من الكبار والضعفاء والشباب وهزيلي البنية الجسدية الى الانخراط في هذا الطقس دون تردد، او شكوى وتحمل ما ينطوي عليه من الام ومعاناة في صبر وجلد) القول نقلا عن ناشيونال جيوغرافيك عدد فبراير /2014.

15- العولمة وعلاقتها بالوعي المجتمعي:/

وهنا نستطيع في هذا المبحث ان نثير سؤالا :كيف نمكن ثقافتنا من مواجهة العولمة؟ لقد تحدثت فيما سبق عن العولمة وتاثيراتها على مجتمعنا وهذا جعلني اثير عدة إشكاليات لرصد واقع حقيقي لطبيعة الهوية الثقافية التي نواجه من خلالها العولمة، وان نثير التساؤلات حولها ، فالهوية عندما نؤطرها بإطار ثقافي مهم نستطيع ان نواجه من خلالها ، ولكن الهوية تمكن اهميتها في عدم تجاهل التنوع الثقافي، وعدم تجاهل الثقافة الشعبية كي نستطيع من خلال هذه الثقافات ان ننطلق الى الاخر انطلاقة مهمة ، فهويتنا ليست فقط اسلامية بل سريانية وكردية وايزيدية ، أي انا ادعو الى الهوية المتنوعة ، والثقافة الشعبية تمد جسورا وتشكل محورا مع التنوع الثقافي لمواجهة العولمة كذلك نحن بحاجة الى احترام الاخر مع احترام الذات وان نؤمن ان الحرية هي الحق في مساواة الاختلاف وان نفهم رؤى الغير ونتفاعل معها ، وان نبحث عن نقطة التقاء مع الاخر ، كما علينا الا ننسى ان الهوية الثقافية تتشكل عند الفرد عبر تشابك وتداخل المسارات الثقافية عبر الازمنة التأريخية المتعددة ، كما علينا الحذر من الجماعات المتشددة ، والمؤسسة (بفتح السينين) على الفكر السلطوي المنغلق كجماعة الاخوان المسلمين في مصر والاحزاب الشيعية في العراق وغيرهم حيث تسعى هذه الجماعات لحماية هويتها عبر تنميطها في وجه ثقافي احادي وتكون مواجهاتهم للاخر في الكثير من الاحيان بصورة وحشية ، نحن بحاجة الى معالجات لهكذا اوضاع اجتماعية سيئة تعمل على الغاء الاخر ويقف على راس هذه المعالجات قضية التنوع الذي يؤدي الى التواصل بين الجماعات على كل المستويات كما ان التفاعل بين الثقافة المهيمنة المتسلحة بتراث ينحدر من احدى الحقب الزمنية والثقافات المهمشة المقصود بها الثقافات خارج الثقافة المهيمنة ، وليس المقصود بكونها ثقافة الأقليات، التي قد تكون واحدة من الثقافات المهمشة ، كما إن إحدى المعالجات هو

استخلاص المعاني العالمية من الثقافات المتنوعة في العالم، وليس محاكاتها ، العالم الذي في إحدى حقبه الزمنية عمل على الاطلاع اطلاعا واسعا على ثقافتنا ، ويقف الاستشراق على راس هذا الموضوع ،نرى البابا كليمنت الخامس (1264-1314م) في سنة 1311 ركز على ضرورة تدريس العربية والعبرية والكلدانية والسريانية لغرض التبشير فتعلموا لغات الشرق لغرض استخدامها في تصدير افكارهم ، كما ان البابا :سيكتوس الرابع (1414-1484) كلف الفاتيكان بمهام تدريس العربية ، كذلك اسس المعهد الجامعي الشرقي في نابولي (الاورينتالي) كان تابعا الى اخوية معهد عائلة يسوع المسيح المقدسة اسسه (ماتيوريبا) واعترف به البابا كليمنت الثاني عشر في 1732/3/7م، وفي عام 1747 التحق بالمعهد مجاميع شابة لغرض التبشير للكاثوليكية في الدولة العثمانية ، لذلك نرى كل هذا التأريخ الموغل في التبشير بالثقافات والديانات والدخول بشكل ملفت للنظر في ثقافة الآخر المختلف، فاحترام التنوع والتبشير بالثقافة وليس بالأديان كما بينت بعض التجارب هو إحدى أهم السبل الأساسية للحفاظ على الهوية المنفتحة ومواجهة العولمة، الكاسحة وليست النافعة .

كما ان اعتماد المحبة والتعاطف ونكران الذات وقوة الإخلاص وترك الكراهية ومعاملة الآخر مثلما نحب ان نعامل ، كلها عوامل تقوي المجتمع للمواجهة وسأعرض بالسطور القادمة نماذج من المبادئ الأخلاقية المستقاة من التراث التنويري للأديان ومنها :/

1- يقول الإسلام: لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
2- تقول البهائية: إذا أنت نظرت بعين العدل اختر لجارك ما تختاره لنفسك.
3- البوذية : لاتؤذ الآخرين بأشكال تجدها أنت مؤذية لنفسك.
4- الزرادشتية :الطبع الجيد وحده هو الذي يتجنب الفعل بالآخرين كل ما ليس طيبا بالنسبة له.
5- السيخية : عامل الآخرين كما تعامل نفسك.

6- يقـول الشـاعر يوهـان ولفغـانغ فـون غوتيـه (1832م) : إن التسـامح يجـب ان يكـون فـي حقيقتـه سـلوكا موصـلا فقـط ، اذ ينبغي ان يؤدي الى التقدير ،ففي التسامح إساءة ان لم يتحول الى احترام الاخر وتقديره.

7- كان غوتيه معجبا بتراث حافظ الشيرازي الشاعر الفارسي الذي عاش في القرن الرابع عشر حيث نرى تحول هام في الوعي الإنساني للتبادل والتفاعل الثقافي بين غوتيه والشيرازي ، وفي ذكر التسامح اورد هذه الحادثة التاريخية الرائعة عن واصل بن عطاء المعتزلـي : سأل رجل من مذهب الخوارج واصل بن عطاء المعتزلي عن مسالة فاستد على الخوارج، فبصق في وجه واصل ، فمسح البصاق عن وجهه ، فقال له :لعلي أعجلتك عن الجواب ،فقال له :اولست انت واصل، قال :نعم ، فاعتذر له. وانا ارى ان هذا قمة التسامح الذي يصل اليه انسان من تراثنا التنويري.واغلب المتطرفين هم في المجال الديني حيث يعتبرون الدين او الاله شيئا مختصا بهم لذلك نرى فولتير يقول(اننا نريد دينا ،الا اننا نريده بسيطا حكيما، جليلا اليق بالله، واقرب الينا بكلمة مختصرة ، نريد ان نخدم الله والبشر).والدين احد الابعاد المهمة المؤثرة على وعي الانسان ،بالاضافة الى السياسة او السلطة والمناخ بحسب فولتير، وله دور مهم في الحياة الاجتماعية ،فاي شائبة يتعرض لها الدين من قبل الانسان المتعاطي مع نصوصه تفسيرا وتأويلا ،تؤدي بالدين الى خانة التعصب والغاء المختلفين لان المفسر الساعي الى اقتناص الافكار التي يؤمن بها سوف يلغي اية محاولة للتلاقي او التعايش الاجتماعي المبني على التواصل لا التهميش الثقافي. فالتسامح يبيح للمختلفين التعايش بأمان واحترام حق كل مختلف في ابداء رايه بكل حرية وبشكل متبادل بين الاطراف ، أي عش ودع الاخرين يعيشون ، ولذا لا يمكن ان تبقى الية التلاقي الاجتماعي والعيش بتسامح بين ومستمر اذا غاب الاحترام المتبادل بين الافراد التي تمتلك ثقافات منعزلة ومختلفة

ومنفصلة ، فالاحترام المتبادل لابد ان يكون اسمى من ممارسة الفضيلة المدنية للتسامح حتى وان كان جزءا من التسامح .

مما ورد في أعلاه نلحظ التحول الهام في الوعي الإنساني للتبادل والتفاعل الثقافي بين الأديان كافة ، إن احترام الآخر يصب في احترام مكانته لذلك نجد المهاتما غاندي يقول : انا اعتقد ان واجب كل مثقف ، رجلا كان أو امرأة ان يقرأ كتب العالم المقدسة بود وتعاطف ، واذا نحن احترمنا أديان الآخرين كما نريد منهم ان يحترموا ديننا فان دراسة ودودة لديانات العالم واجب مقدس" كما لا أنسى التعددية التي تحدثت عنها كثيرا في مؤلفاتي ومنها كتابي "آليات السلوك النهضوي" فالتعددية لأهميتها اكرر الحديث عنها في كتبي ولكن برؤى أخرى .

فالتعددية ليست وحدها الحقيقة لوجود التنوع ،بل هي التفاعل النشط مع التعدد وهي ليست التسامح ولكنها السعي للتفاهم ايضا، وهي ليست التوفيقية (إزالة الاختلافات بين الاديان المختلفة) ولكنها قائمة على احترام الاختلاف ، وتقوم على أساس الحوار بين الأديان كما ينبغي الوعي بان الأفكار حول الحقيقة النهائية أي حقيقة محدودة بمحدودية الإنسان ، ولذا فهي طاقات معرفية عرضة للخطأ ، وهكذا فان الفهم الإنساني المنقوص غير الكامل لا يمكنه بتاتا ان يطرق كل السبل ويستنفد كل الوسائل المؤدية الى كشف الحقيقة المطلقة حسب رؤية اصحابها.

وهنا لأركز على بعض المؤتمرات العالمية المهمة التي اسست لمفاهيم في التعددية الانسانية والمساواة ويحضرني في هذا الباب (مؤتمر كيوتو) الذي عقد في اليابان عام 1970م بعنوان (المؤتمر العالمي للاديان والسلام) والذي ركز على ما يلي :/

1- قناعة بالوحدة الاساسية للاسرة الانسانية والمساواة والكرامة لكل ابناء البشر .
2- شعور بقدسية الانسان الفرد وضميره.
3- شعور بقيمة المجتمع الانساني.
4- الامل الوطيد بسيادة الخير في النهاية هو ضرب من اليوتوبيا.

5- شعور بالالتزام بالوقوف الى جانب الفقراء والمظلومين.

ملحوظتان:/

1. **مواجهة العولمة تنطلق من اصلاح البيت الداخلي فبالتعددية واحترام التنوع نستطيع تقوية المجتمع الذي سينهض حتما لمواجهة المد العولمي الذي يطالب بمسخ الهوية ان أسأنا الاستخدام.**
2. **الاحاديث التي اقتبسناها من الاديان (الاسلام والبوذية والسيخية والزرادشتية وغيرها) تدلل على الجذر الاخلاقي للاديان كافة واستلهامها هذه المعاني للدخول الى الناس ، على الرغم من مساوئ الاديان وقدراتها السيئة على الغاء الاخر حسب بعض النصوص بسبب دعواها امتلاك الحقيقة المطلقة .**

16-الثورة وقدرتها على احداث التغيير المطلوب:/

جزء من الوعي هو الثورة ضد المستبدين والمستفحلين في ظلمهم على الناس يقول عبد الرحمن الشرقاوي من ابيات (الحسين ثائرا) واصفا ثورة الحسين ضد الظلم :

فلتذكروني بالنضال
فلتذكروني عندما تغدو الحقيقة وحدها حيرى حزينة
فلتذكروني عندما تجد الفضائل نفسها ... اضحت غريبة

فلتذكروني حين يختلط المزيف بالشريف
واذا غدا البهتان والتزييف والكذب المجلجل هن ايات النجاح

هكذا نرى الشرقاوي يستذكر ثورة تاريخية برؤى تنويرية من التراث، كي يبعثها ولكن برؤية بعيدة عن الحزن ومفاهيمه ،بل برؤية ثورية غرضها الاصلاح والنهضة ، من هنا يتبين اثر الثورة تاريخيا ، ان انطلاقات الثورات الحقيقية تتضمن محو الظلم وتاكيد الحق للمظلوم واعلاء شأن النضال الحقيقي ، حيث نرى جيفارا (1928-1967) مع اختلافنا معه وكما سنبين يقول(انني احس على وجهي بالم كل صفعة توجه الى مظلوم في هذه الدنيا) وكانت لديه رؤية في التغيير حيث يقول ايضا(اسوأ ما في الامر ، ان الواحد منا كان عبدا للظروف لايستطيع القيام بأي شيء) طبعا جيفارا الطبيب وسليل الاسرة البرجوازية كان باستطاعته العيش هانئا بعيدا عن القلاقل ، لكنه كان مثالا للثوري الحالم المثقف يشبه الشاعر القيصري بوشكين شاعر البلاط مع الاختلاف الكبير بينهما من ناحية الظروف والزمان والمكان وكان باستطاعة بوشكين ان يكون شاعر القيصر نيقولاي الاول وكفى ، واذا به ينفى مرارا وتكرارا والسبب انتقاده للظروف التي كان الناس يعيشها في روسيا في ظل حكم القياصرة الظالم، وهنا يقع التشابه مع جيفارا الذي كان بامكانه ان يعيش طبيبا هانئا لكنه فضل ان يكون ثوريا يدافع عن حقوق فقراء امريكا الجنوبية فعاش منفيا ثوريا ، وبوشكين الذي كان بامكانه ان يعيش شاعرا للبلاط لكنه عاش منفيا ، سأل لينين مرة مجموعة من الشباب الثوري ، أي شاعر تفضلوه فقالوا :نفضل مايكوفسكي شاعر الثورة الروسية انذاك،وهم قد يكون بعضهم مجاملين له طبعا ، فرد عليهم بتهكم :اما انا فافضل قراءة بوشكين ، والمعروف ان الاخير كان شاعر البلاط القيصري ، ولكن تفضيله ما كان مبنيا على فراغ بل كان لبوشكين رؤيته الثورية ضد الظلم.

ان ثمة سر في صورة جيفارا تكمن في تجربته الثورية التي امتدت اثارها الى الكثير من حركات التحرر العالمية ، أي:الوعي القوي الذي تحدثه هذه الصورة ، وحسب تقرير صدر عن البي بي سي فان

:صورة جيفارا جمعت الكثير من المعاني الرأسمالية والتجارية والدينية والثورية ، ولا توجد اية صورة تاخذنا الى كل هذه المناطق .كما ظهرت هذه الصورة كديكور لمنتجات مثل المناديل الورقية والملابس الداخلية . وفي استراليا ظهر ايس كريم جيفارا بطعم الكرز والجوافة كما تنقل الصحافة العالمية .

كما يتميز فكر جيفرا بما يلي :

1- حلمه في التغيير .
2- تطبيق نظريته في التغيير عبر اعلان حرب شعبية طلائعية تطيح بالانظمة الشمولية وصفه جون بول سارتر (انسان القرن العشرين الكامل) . في رحلاته في امريكا اللاتينية لم يتوان عن السفر في عربات القطارات المخصصة للامريكيين الاصليين الذين كانوا يحشرون مع الحيوانات.

ويبدو ان الثائر كان يحس بقرب اجله، وتظهر حواراته مع الرئيس عبد الناصر والتي نقلها عنه محمد حسنين هيكل ، الذي كان حاضرا اللقاءات عدم ارتياح او قلق من ناصر ، من تكرار لازمة الموت في احاديث جيفارا، حيث قال: انه يحكم بالعثور على مكان ما للكفاح من اجل الثورة العالمية مما دعا ناصر للتعليق قائلا: لماذا تكثر الحديث عن الموت؟ ما زلت شابا ، كان يؤمن بالتغيير عبر العنف الثوري حتى النهاية .

ولكن مع ذلك ينبغي الحذر من الوجه الاخر للشخصية التي يعجب بها البعض ، فجيفارا كان عنيفا وقد كتب في ذلك كتابا ، كتبه شخصا كوبيا معارضا اسمه(خوسيس) تنقل عنه الكاتبة العراقية لطفية الدليمي ما نقله عن مذكرات جيفارا (لكي ترسل رجالا لفرقة الاعدام ،فالاثبات القضائي غير ضروري، فهذه الاجراءات هي تفاصيل برجوازية قديمة، هذه ثورة والثوريون يجب ان يصبحوا الات قتل باردة مدفوعة بالكراهية الخالصة) وهذه نظرة عنفية بائسة تصدر منه .

ملحوظتان:

1- النموذج الثوري ينطلق للتغيير والاصلاح عبر ثورة تؤيد ان يكون مجالها سلميا لاعنفيا ،فالتغيير يتطلب الوقوف السلمي والصبر لتحقيق النصر حتى النهاية ولنا في تجربة غاندي نموذجا حيا.
2- النموذج الثوري الذي يؤمن بالكفاح المسلح لاسترداد الحقوق نقف بالضد منه ،لانه وان حرص الثوار على الا يقع الظلم ، تجاه الناس فانه سيقع لذا وجب الحرص الشديد لتحقيق النصر ضد المستبدين والحرص على الناس اهم نقطة وهذا ما لم نره عند الكثيرين من الثوار وعلى راسهم جيفارا ، ولتحقيق التغيير نحن بحاجة الى الوعي الثوري الانساني، السلمي .

17- هل بالامكان ان نصيغ قوانين تنصف حرية الفكر والبحث والاجتهاد؟

ما دعاني على اثارة هذا السؤال هو اطلاعي على محاكمة طه حسين عام 1926 التي حسمت لصالحه والتي كان القاضي فيها هو محمد نور ، شاب مثقف تنويري حسم الحكم لصالح طه حسين بخصوص كتابه (في الشعر الجاهلي) ، انا باعتقادي ان كلا الامرين قد حسما الامر لطه حسين خصوصا اذا ما عرفنا ان الحاكم محمد نور كان احد تلامذة العظيم طه حسين، وقد نشر الكاتب والروائي المصري (خيري شلبي) (1938-2011م) كتابا بعنوان (محاكمة طه حسين) الذي طبع في بيروت طبعات عديدة ، يؤرخ فيه لتلك المحاكمة المستورة التي تجعلنا نقول اننا بحاجة الى الف طه حسين كقائد تنويري قادر على صناعة شباب تنويريين كقامة محمد نور انذاك، وبحاجة لمجموعة كبيرة من امثال النائب محمد نور المثقف لمحاربة الجهل اينما حل.

وبالاضافة الى حاجتنا لمثل محمد نور في القضاء نحن بحاجة الى قوانين تضمن حرية التعبير ولاتقيدها بتاتا.

لذلك نجد اليوم من الصعب الخوض في مواضيع عدة بسبب المحاذير الرقابية الدينية التي لا تحجمها القوانين ، هذا من جهة ،

كما ان المجتمع العراقي ما زال يتعامل مع العمل الابداعي بنضج قليل لاننا مجتمع تحكمه التقاليد الموغلة في القدم، وحدثت تغييرات كثيرة وان كان قد تعلم الكثيرين في الجامعات فهذا تقدم شكلي وما زلنا بعد كل هذا التعليم اسرى معتقدات لا يسهل الخلاص منها، ماساتنا اننا لم نصف الذات الثقافية اولا باول عبر العصور المختلفة ، اما مصطلح الثقافة لم يكن عندنا ثقافة حقيقية حتى اليوم، الثقافة لاتسمى ثقافة الا عندما تتعرض للراسخ من العادات والتقاليد وتحللها من وجهة نظر مستنيرة وهذا عندما يحدث، نعيد الجدل والتحليل فيظهر طقس من الوعي العام يرفض ماليس ينفع، هذا بمجمله لم يحدث في اية لحظة تاريخية ومن ثم لا تستطيع الحديث عن ثقافة ما، لدينا نشاط ثقافي هناك من يكتبون الشعر والرواية والمسرح ، وهناك ممثلون ومخرجون ومجرد انشطة وليست ثقافة حقيقية راسخة المعالم.

فالثقافة الحقيقية لابد ان تكون وطنية اصيلة تبحث عن التغيير في ذوق الناس ، كيف نضعهم في قلب العصر ، اذا حدث هذا نستطيع الحديث عن ثقافة لا نشاط ثقافي، والسبب في عدم حدوث هكذا ثقافة حقيقية ، بان الكفاءات الناجحة والمواهب الصالحة التي تعمل في الانشطة الابداعية هذه العناصر يضطهدها المجتمع قبل المؤسسات الدينية والرقابية والسياسية .

الاديب الذي وصفه جان دومرسون عندما سئل: قلت ان الادب كارثة تحل على الانسان الذي يكون اديبا ، هذه العبارة ما تفسيرك لها؟ فاجاب: الادب عشق ، والعشق مرض ، والمرض كارثة اذا كان مزمنا، والاديب انسان مهموم بالادب ، والغريب انه سعيد بهذا المرض ولايريد الشفاء منه، انه مازوشي يسعد جدا بتعذيب نفسه، هذه الاجابة تقودني الى ان الاديب والمفكر والفيلسوف هو :عبارة عن انسان يريد الحرية دوما دون وجود مؤسسات رقابية على كلماته ودراساته ، يكتب بكامل حريته بعيدا عن سلطة الرقيب ، وهذا يعني ارادته للحرية وعنصرها الانساني الاكبر.

وبالتـالي عنـدما ينشـأ تحـت اعـين سـلطة الرقيـب يعـاني الامـرين كسلامة موسى الذي الف اربعين كتابا طوال رحلته في عالم التـاليف والكتب وكان مكروها من قبل كل الحكومات ومن قبل الشارع العام، ومن البسطاء حتى من الناس والسبب هو السوء الذي وسم بـه مـن قبـل السياسـيين انـذاك والمتـدينيين علـى حـد سـواء ، وقـد اغاضـت كتاباته الرجعيين والسلفيين، وكان موظفو وزارة المعارف فـي تلـك الفترة غير مؤهلين لاستيعاب الثقافـة التطوريـة وكانـت موضـوعاته اكبـر بكثيـر مـن مسـتوى ادراكهـم وفهمهـم لـذلك اشـترت وزارة المعارف المصرية كتبـا ذات موضـوعات بسيطة ولاتشـجع الا علـى المحافظة على القديم وكانت كتب(سلامة موسى) تـرد عليـه وتـهمل ولم تشتر منه الوزارة ولا بـدرهم واحد فـي الوقـت الـذي اشـترت بـه كتبا كثيرة على سبيل المثال سقنا سلامة موسى فـي معـرض حديثنـا كوني من اشد المعجبين بفكره وعلمه .

قال عنه رجاء النقاش:/

عاش حياته في صراع دائم لان اعداء التنوير اكثر من انصاره.

ومن اهم ما اذكره عن هذا المفكر العظيم الذي ارسى دعـائم المدنيـة في مجتمعه وامته قوله ناقدا سلطة الرقيـب المتمثلـة برجـال الـدين: ان اللغة من حقنا ولايجوز لرجال الدين ان يفرضـوا وصـايتهم علينـا .

وهذا انتقاد منه لرجالات الدين المسلمين رغم انه مسيحي وعلمـاني ليس علاقة حتى بالمسيحية .

ملحوظتان:/

1- نحن امـام سلطة الرقيـب فـي المرحلـة الحاليـة ضـعفاء كمثقفين بسـبب التـاثيرات الكبيـرة لرجـالات الـدين فـي عـوام النـاس وتحويلهم المجتمع الى سلطة قاهرة للمثقف بل منتقمة منه عند توجيه سهام نقده لرجال الدين، وهذا يذكرني بواصل بـن عطـاء المعتزلي كيف انه قام بتكفير بشـار بـن بـرد وطالـب بقتلـه وكـان يؤلب الناس عليه لا لشيء الا لكون بشار متحررا وشاعرا وجه سهام نقده الـى واصل فمـا كـان مـن رجـل الـدين المعتزلـي الا ان

يطالب بقتل بشار ، وقد تناولت استبداد المعتزلة في كتابي "مفهوم العقل في البصرة "

2- يعيش المفكر اليوم تعيسا في افكاره ومغتربا في مجتمعه لانه يكفر من قبل اقرب الناس اليه ، يقول لزوجتي احدهم يجب ان تطلقي شرعا من زوجك .... قلت له لماذا؟ قال :لانك كافر حسب ارائك وفهمك وكتاباتك ، أأسف لاننا نعيش بين هؤلاء الناس.

18- المثقف وقدرته على احداث الوعي:/

الكاهنة العليا للتفكير الفرنسي في القرن العشرين وام المذهب النسوي الحديث ، ودلالة الوعي بشخصية سيمون دي بوفوار قول العالم سارتر: ارادت سيمون ان تبرهن عن نفسها من اجل الاخرين وان تنقل لهم رايها في الحياة، وكانت الكتب والكتابة محور حياتها واحبتها بشغف ونظرت اليها نظرة احترام وخشوع وطالبت :

1- مساواة الرجل كليا مع المرأة .

2- طالبت بالحرية الجنسية.

3- طالبت بحق الامومة والاجهاض والتصرف بالبيت.

4- كلمتها المشهورة(لايولد المرء امرأة بل يصبح كذلك) هاجمتها الكنيسة وهاجمت اراءها لانها ارادت خلق وعي ثقافي جديد في قضية المرأة وهذا يقودني الى اثارة سؤال من ماهية مصير من يريد خلق الوعي؟ وتقف الاجابة بداية بالمسؤولية الكبيرة التي سيتحملها الباحث والكاتب والمفكر والفيلسوف ، من هنا نرى ان الكنيسة والجامع فعلا فعلهما المقيت بمحاربة الفكر الحر الذي يقود الى الوعي المجتمعي الحقيقي، ولكن علينا ان نبحث ايضا عن مدى تاثير كتابات المثقفين بوعي الشباب واحداث هذا الوعي، فمثلا عندما نتحدث عن مرحلة في المجتمع الفرنسي على سبيل المثال

نجد ان تاثير المثقفين في المجتمع لاسيما في الشباب منه كان هائلا وقد اصبح ادباء ومفكرون امثال جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار ومرلو بونتي وكويستلر اناس معبودين من قبل الشباب الذين راوا فيهم ممثلين لعصر مغاير ، نحن بحاجة الى المؤلفين والباحثين اصحاب القلم الحر الواعي القادر على ان يبين رؤى التنوير دون خوف او وجل من رجل دين او مجتمع لايقبل التطور الفكري الحقيقي لاحداث الوعي، لان الوعي عند حصوله، يهمش رجل الدين اوتوماتيكيا بعيدا عن المطالبة بتهميشه.وفي ضوء ما هو متوافر من معلومات تصبح النظرة الى الموضوع الذي يخص الشباب ذا طبيعة ثنائية جانبها الاول يتمثل بواقع الشباب العربي من حيث ثقافته واساليب تنشئته واعداده ومن ثم طبيعة التحديات التي تواجهه وهي تحديات تتصل بالجانب الذي يرتبط بالنظام التعليمي وطبيعته وهذا يعني ان مسار الموضوع يبنى على اساس الخصوصية العربية التي لابد من الوقوف عندها وقراءة معانيها في سياق الحديث عن منابت الشخصية العربية بجذورها العامة والشباب العربي خاصة وفي سياق الاهمية يمكن التاكيد مرة اخرى ان وضع الشباب اليوم قد تغير تماما وتعقدت اساليب التنشئة والتربية ولم تعد اطراف التنشئة واساليبها بالقدر نفسه من المسؤولية التي كانت معهودة في مراحل سابقة من التاريخ ، ان رؤية واضحة لواقع الشباب اليوم يجب ان تتم وفق دراسة منشودة لها خطواتها الاساسية المهمة في هذا المجال، ولها اساليبها الخاصة القادرة على تمتع شخصية الشاب بالامتيازات المجتمعية أي: واقع العرف والاساليب الاجتماعية المتخلفة التي تفرض على الشباب قيودا، وتتحكم فيهم بحيث تجعلهم دمى متحركة بواسطة العواطف واساليب العاطفة والبؤس البشري الذي يطغى في هذا المجال كما ان دور الاسرة ودور الجامعة والمدرسة والنادي لم يعد الدور نفسه الذي عرف فيما سبق، فاصبح من المعروف ان دور الاسرة تاثر وتقلص كثيرا بظهور العديد من المؤسسات التي تتولى وظائف التنشئة والتدريب للشباب لاعدادهم وتاهيلهم لادوارهم

الاجتماعية التي اصبحت هي الاخرى ذات طابع معقد، بازدياد معدلات التسارع في المتغيرات العلمية والتكنولوجية وانعكاساتها على التنمية الاجتماعية والحقيقية التي يمكن ان يقف عندها الانسان :هي ان التنشئة السليمة لمواجهة متطلبات المعاصرة يتطلب توفير المناخ المناسب للشباب ، الذي يحقق لهم القدرة على الاستيعاب والقدرة على التعامل ويجعل منهم افرادا منتجين، وهذا يعني قيام مؤسسات التنشئة الاجتماعية من تعليم وثقافة واعلام ومجتمع بدور متكامل باساليبها لتنمية الشخصية الشابة والمؤهلة والمتوازنة، وهكذا يصبح تحصيل حاصل القول بضرورة الانتاج، والمتابعة في هذا المجال، ان مؤهلات الشباب التي يجب ان تتوفر وضمن الامكانات الواقعية يجب ان تؤهل بواقع عمليات الاعداد والتاهيل التي تضطلع بها التربية ومرحلة الشباب التي تفضي الى مراحل تالية . وفي نسق متواصل هناك من ينظر الى الشباب على انها مرحلة انتقالية ضمن مراحل النمو التي يمر بها الانسان ولاتمثل مرحلة الشباب عند اصحاب هذا الرأي مرحلة نمو مفاجئ وانما هي استمرار طبيعي لعملية التنشئة الاجتماعية التي تبدا منذ مرحلة الطفولة المبكرة وتستمر خلال كل مراحل الحياة وهكذا تكون مرحلة الشباب عندهم مرحلة انتقالية لها مقوماتها النفسية والاجتماعية والبيولوجية والتاريخية وسواء كانت هذه المرحلة الانتقالية هادئة ام عاصفة فان فهمها ومواجهتها مرتبطان بفهم كل مرحلة من مراحل العمر على حدة ومقارنتها بالمراحل التالية الاخرى ، وانا ارى ان الشباب هي مرحلة انتقالية صحيح جدا ولكنها تسحب معها اليات الفهم التي استحصلها الانسان في هذا المرحلة الى المراحل التالية فان لم يستصحب اليات فهم مهمة ورائعة قادرة على مواجهة التخلف سيسحب معه اللاوعي المجتمعي ويصبح المجتمع مستقبلا مجموعة من اللاواعين.

ولو انتقلنا الى مبحث اخر من هذه الدراسة لكي نتعرف من خلاله على ملامح العلم الذي نطمح ان نراه محققا في مجتمعنا لتحقيق حالة من الوعي المجتمعي الحقيقي، فالنشاط البشري حتى القرن

السادس عشر يسير بشكل عام في اتجاهين منفصلين حسب رؤية البعض أولهما الاتجاه الفلسفي أو الذهني ويعالج فيه العلم النظري والأفكار والفلسفات والاتجاه العلمي التكنولوجي الذي عولجت فيه قضايا الفيزياء والكيمياء وغيرهما من العلوم ولكنها بنظرنا متماسكة ومتفاعلة مع بعضها وتؤدي إلى بعضها الآخر، فلولا التطور الفلسفي لما بحث الإنسان عن المعارف التكنولوجية ولما بحث عن آلية التحكم في البيئة والتفاعل مع العلوم إلى درجة إن البشر اليوم يعملون على إطلاق صواريخ تبذر أملاحا لتمطر بعدها السماء، فلو كانت هذه المعلومة تطرح في العصور التي غاب فيها الوعي الفلسفي لرأيت الناس اعتبرت هذا كفرا وان الإنسان يتجرأ على الإله بإطلاقه لهذه الصواريخ التي تمطر السماء، واليوم ومع وجود الوعي الفلسفي في الأفكار نجد إن طرحا علميا كهذا قد يؤدي الى معارضة البعض كونه يشارك الإله بقدرته على الأمطار حسب الرؤية الدينية، ولكن اليوم مثل هكذا طرح ممكن أن يكون مقبولا بعد أن رأينا إن هنالك وعيا موجودا بدرجة أو بأخرى داخل المجتمع

وعلى الرغم من إن العلم يسعى لإشباع احتياجات البشر ، فان هناك من يشعر بالخوف والرعب من العلم، فعلى سبيل المثال هناك من يرفض قانون بقاء المادة ،المادة لا تفنى ولاتستحدث ،بل وهناك من يرتعب من احتمال ان يقود هذا القانون بعض الناس الى تساؤلات من قبيل الا تعتبر قصة الخلق الواردة في معظم الاديان استحداثا للمادة من العدم، والا يعتبر الموت فناء للمادة وتحولا الى العدم وهل يخضع الاله لقانون بقاء المادة، ويعود هذا الخوف من العلم الى انه قد يقود ضعيفي الايمان الى الشك في معتقداتهم الدينية ، وهنا يجب لفت الانتباه فيما يتعلق بمثل هذه الاسئلة الى ان العلم لايقدم اجابة نهائية على القضايا التي يعالجها وانما يقدم رؤية من المعلوم انها سوف تتغير وتتطور فعلى سبيل المثال يربط العلم الحديث بين المادة والطاقة فيمكن للمادة ان تتحول الى طاقة والعكس صحيح، وبناء على ذلك يرى البعض ان مصدر الخلق الالهي هو طاقة موجودة منذ الازل ثم تحولت عند الخلق الى مادة وهو ما يرونه متفقا مع الرؤية الدينية ، ونحن نراه لايمت بصلة الى الرؤية

العقلية والوعي العقلي فيها فما معنى ان الخلق الالهي هو طاقة موجودة منذ الازل ؟ اعتقد ان هذا ليس له مجالا للصحة حقيقيا.

ملحوظتان:/

1- **يجب ان يكون لدى المثقف القدرة على التاثير في مجتمعه كتابة وتأليفا ومسرحا ونشاطا اجتماعيا قادرا على التفاعل مع المجتمع وابنائه.**
2- **على المثقف الحقيقي تحمل مهاجمة المؤسسة الدينية له والا تثنيه هذه الهجومات على التوقف على ايجاد مشروعه الحقيقي لخلق الوعي المجتمعي العام.**

19- الحضارة والمعرفة والوعي:/

بقيت الحضارة كمفهوم انساني تعطي معاني سامية لبناء الحاضر واستلهام القضايا التي تؤدي الى بناء المستقبل ومن هذا المنطلق بنيت حضارات عظيمة على انقاض حضارات بادت ولكن لم يك لهذه القاعدة واقع على دوام الخط، فالكثير من الحضارات انتهت ولم تقم بديلا لها حضارات اخرى ، على نفس المستوى ، ومن هذا المنطلق هنالك شواهد كثيرة منها : ان حضارة وادي الرافدين التي وجدت قبل اكثر من 4000 سنة على تنوعها وعصورها المزدهرة منها والمنحطة قامت بعدها حضارات مهمة استولت على البلاد ومنها الفارسية مع اختلاف البعد الحضاري والحضارة الاسلامية وكانت اكثر تطور مع اختلاف الازمان طبعا، ساهمت الحضارة الاسلامية بسد (الفجوة الحضارية) ، لان الحضارة اذا اندرست ولم تقم بعدها حضارة تسد الفراغ يقع ما يسمى بالفجوة الحضارية ، وهكذا درست الحضارة الاسلامية ولم يتبق منها سوى رسمها واثارها وبعد هذا الانقطاع الحضاري الكبير مابين اخر حضارة قامت على ارض الرافدين كمثال سقناه متمثلة بالحضارة الاسلامية وعدم وجود حضارة حالية اسهمت هذه المسالة بالانقطاع الحضاري كما اسميه والفجوة الحضارية التي نعيشها اليوم أي:اننا لم

نبن حضارة انسانية كمجتمع إنساني اليوم، ولم ننتج شيئا من هذا القبيل، ومن هذا المنطلق فالفجوة الحضارية التي نعيشها اليوم كبيرة وترقى بنا الى ان تؤدي إلى التخلف الذي نعيشه اليوم أي(التخلف الحضاري) ومن نافل القول ان بعض الحضارات العالمية اليوم قامت دون وجود اساس حضاري لها ، فالولايات المتحدة تمثل اليوم حضارة عالمية كبيرة لم يقم اساسها على حضارة زمنية موغلة في القدم أي لم يك لها اساس حضاري ، هذا من جهة ومن جهة اخرى بقيت بعض الحضارات محافظة على الاساس الحضاري وما زالت وان بدرجات غير مؤثرة في العالم، ولكن ما زالت تملك حضارة فالايطاليون على سبيل المثال ملكوا حضارة موغلة في القدم تمثلت بوجود الامبراطورية الرومانية وما زالوا يشكلون اليوم دولة مهمة على مستوى العالم، بمستوى معين من التاثير وعدم التاثير بنفس الوقت ، هذا من جهة ومن جهة اخرى دول فقدت اسها واساسها الحضاري كما في العراق حيث اساس حضاري ، وعدم وجود حضارة حاليا او في عموم المنطقة العربية، والا اين حضارة الفراعنة ؟موجودة كأساس ولكن دون أس حالي او الحضارة الاسلامية المتعددة الاتجاهات والمواقف عموما والسؤال الذي قد يتبادر للذهن ؟ هل نريد من هذه الدراسة ان نستنسخ الحضارات كما كانت أي ان نستنسخ العباسيين او الامويين او الفراعنة كحالة حضارية ، بل الصحيح والذي نبغيه ان نقوم بحضارتنا بناء على رؤية تنويرية وهذا ما نطمح اليه، فالاصلاح والتنمية الحضارية يتمان بالتدرج ومن خلال السلوك الحضاري فاذا حدث الانقطاع الحضاري انقطعت السلسلة الحضارية واضمحلت وتبدا الناس في اكثر الاحوال من الصفر لاستكمال الاصلاح وبالتالي عدم وجود النتاج الحضاري المستمر عبر السلسلة الحضارية ووجود الانقطاع فيها يؤخر الدور الحضاري للبشرية .

فمثلا عندما يتحدث العالم اليوم عن الديموقراطية كمنج يتعامل به الناس ، السؤال المطروح سيكون: الا يوجد له اساس حضاري عتيد يستند اليه، الجوا سيكون: بلى مع اختلاف ذلك الاساس مع الوجود الحضاري الحالي للديموقراطية فهي قد وجدت في اثينا وطورت حتى وصلت الى

ما نحن عليه اليوم وحدث انقطاع حضاري استطاعت اوربا ان تردمه بقدرة كبيرة حتى اوصلت الديموقراطية الى ما نحن عليه اليوم ، من تطور حضاري، اما نحن في بلاد الاسلام فحتى الذي ورثناه من حضارة تمثلت باعمال العقل كما لدى المعتزلة بتنا اليوم نكفرها ونرفضها وبتنا نعطل العقل تعطيلا كاملا ،فاين الدور الحضاري من هذا؟ اليوم العالم يفكر في جذب الاخر الى ممارساته الحضارية ويتساءل هل استطيع ان اجذب الاخر سلميا الى الدور الحضاري الذي العبه اليوم ام لا؟

اعتقد اننا حتى الذي ورثناه من حضارتنا عطلناه ، العالم اليوم يتحدث عن اجتراح نقطة لقاء تلاقحية لتبادل التفاعل بين الحضارات فاين الدور من استعادة الحضارة ولعب دور حضاري يمارس بامتياز للمزاوجة بين حضارات العالم؟ من خلال ايجاد وسائل جذب للحضارات الاخرى في مجالات ثقافية واجتماعية واقتصادية وحتى سياسية ، فلماذا ينظر العالم الى الولايات المتحدة مثلا بعين الاعجاب ، السبب هو الدور الاقتصادي والسياسي والثقافي الذي تلعبه عالميا في مجال الحريات والديموقراطية ودولة الرفاه وغيرها من عوامل الجذب الانسانية والحضارية .

نحن بحاجة الى "حكمة العصور" المنتقلة حضاريا لصياغة البعد الانساني الفكري المادي والمعنوي لكي نصنعه في الحاضر ونبقيه حتى المستقبل لصناعة نهضة حقيقية مبنية وفق مبدا (حكمة العصور) وهو مصطلح اقصد من خلاله (الحكمة التي نصنعها والتي نستطيع نقلها الى الاجيال التالية لغرض بناء انسان حقيقي) استخدمته لاول مرة وعسى ان اكون الا اخطات في ابتكاره وضمه الى قائمة المصطلحات العالمية الحضارية ، ان حكمة العصور اعني به تحديدا بالاضافة الى ما مر هي الحكمة الحضارية التي من خلالها يتم البناء وتتوارثها الحضارات والاجيال وتكون فاعلة ومهمة جدا، وتصان ويكون لها وقع حضاري في نفوس الحضارة الوارثة لها وتنطلق من اساس فلسفي يتناسب مع العصور المختلفة وتتحرك مع تطورات الفلسفة الانسانية الحرة في تفكيرها الحقيقي.

ملحوظتان:/

1- الوعي بالحضارة يشكل ركيزة اساسية ومهمة من ركائز البنيان الحضاري الانساني ويشكل تقدما هائلا للامام.
2- ينبغي الاخذ والتطور لحكمة العصور كمصطلح نعرضه من خلال كتابنا هذا على الباحثين والكتاب لعلهم يجدوا له تطبيقا مهما داخل مجتمعاتنا .

20- حضارة وادي الرافدين أنموذجا ندرسه:/

لقد ظهرت المدينة في بلاد الرافدين لتشكل اول ظهور عالمي لنظام دولة المدينة واول شكل من اشكال الحكم في التاريخ.

ونمت في هذه المدن فكرة المواطنة فكانت المدينة اكثر من كونها تجمعا سكانيا او قبليا بل ان ما يدهش الباحث في حضارة وادي الرافدين الا يجد اثارا للنظام القبلي منذ اواخر عصور ما قبل التاريخ (طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الحكمة، بغداد، 2011)

ويعلل طه باقر هذه المسالة بالوحدة السكانية في بلاد الرافدين المعتمدة على الاقتصاد الزراعي وجهاز الري والتجارة، فنشأت في المدن انظمة سياسية واجتماعية مثل مجلس المدينة (بوخرم) بالاكدية ، (واوكن) في اللغة السومرية ، ومشيخة المدينة(شيبوت الم) الى غير ذلك من الاجهزة المدنية والتنظيمات الاجتماعية والسياسية ،فازدهرت الزراعة ووجد جهاز منظم للري وازدهرت التجارة الخارجية وصارت مراكز لتجمعات سياسية ، فكانت هنالك عاصمة تتبعها مدن اخرى، بالنتيجة استطاعت هذه المظاهر العمرانية والاجتماعية والسياسية الفريدة ان تصنع صبغتها الاساسية في انشاء المدينة، في حضارة بلاد وادي الرافدين، وكل هذه المظاهر للحضارة اوجدتها الاقوام التي عاشت هنا

قبل الاف السنين ، كانت هنالك مدن متقاربة فقد يبلغ قرب الجوار بين مدينة واخرى بضعة كيلومترات مثل مدينة اريدو واور (25كم) وقربها مدن لجش ولارسا والوركاء وايسن وغيرها، حيث كان هنالك عمران مركز يعطي صورة واضحة وجليةة عن مظاهر المدنية .كما كان للمعبد دور اساسي في هذه المدن مما يدلل ويعطي انطباعا على التطور الفكري لديهم انذاك، فالدين هو جزء من الفكر فكان المعبد مركز الحياة الحضرية وظهرت فيه الكتابة حيث دعت الحاجة الى ايجاد وسيلة لتدوين واردات المعبد واملاكه فظهرت اقدم كتابة صورية في منطقة معبد(أي –انا) في مدينة الوركاء ، وكانت اغلب الالهة تدور في مدارات تفكير العقل البشري حيث ان العراقيين القدماء كانوا يفكرون مليا بالظواهر التي تحيط بهم من شمس وقمر وهواء وارض وحياة ، فبالتالي هم خصصوا الالهة لشؤون الحياة المختلفة ، الهة تتحكم فيها وتسيرها، بل كانت هنالك الهة للقلم والمعرفة والفنون، حيث كان اله اسمه(نابو ، او نبو)،اله المعرفة والكتابة والقلم، واشتهرت مدينة (بورسيا) او (برسانمرود) بكونها مركز عبادته حيث معبده فيها يسمى (أي-زيدا) ومعبد ابيه في بابل باسم(أي- ساكلا) ومن اهم الالهة لدى العراقيين القدماء هو الاله الشهير تموز او (دموزي) كان في اصله من الهة الخضار والنباتات والماشية واشتهر باقترانه بالهة الحب عشتار (أنانا) فنشأت عن ذلك عبادة الخصب التي انتشرت من حضارة وادي الرافدين الى اقوام كثيرة، فكان خصب الارض وما تدره من ثمرات وخيرات يتوقف على الاقتران السنوي بين الاله تموز والالهة عشتار واقدم ممارسة لهذه العبادة ظهرت في الوركاء ، بالنتيجة كان هنالك تطور حضاري فكري من غير الممكن ان نزاوج بين ما حصل قبل 4000 سنة والان ولكن للحضارة في تفكير الانسان دور في ايراده مورد التقدم بالاستفادة من صورة الحضارة في مخيلته فللحضارة صور تتلخص فيما يلي:

1- صورتها السياسية من ناحية هيكل الحكم والمؤسسات التي انتجتها الحضارة.

2- الصورة الاقتصادية للحضارة وموارد ثروتها ووسائل الانتاج الزراعي.
3- المظهر او الصورة الاجتماعية حيث تكون المجتمع ونظمه وحياة الاسرة والمرأة وطبقات المجتمع والاداب والاعياد.
4- المظهر الديني :حيث معتقدات اصحاب الحضارة وعباداتهم وعلاقة الانسان ونظرته الى الكون والحياة
5- المظهر الفكري :ويبحث في النتاج الفكري(من فلسفة وعلم واداب
6- المظهر او الصورة الفنية :ويبحث في الفن المعماري والرسم والعمارة وماشابه.

21- الفلسفة الاوربية وقدرتها على احداث الاصلاح

بعض مذاهب الفلاسفة الاوربيين طرحت مسألة الوعي بشكل واضح او طرحت امورا في اغلبها تؤدي الى الوعي عند وضعها موضع التطبيق فلقد كانت غاية الفيلسوف الالماني(ادموند هوسيرل) (1859-1938) تأسيس قاعدة فلسفية لتكوين علم قوي يساهم في اعداد واحد من البحوث الاكثر طموحا وتعقيدا الا وهو :الظاهراتية حيث تحددت هذه الطريقة الفلسفية بوصف الاشياء على حالها وبعيدا عن أي بناء تصوري بغية اكتشاف انظمة متفوقة للوعي ولادراك جوهر الاشياء ، وهنا لا يجد المفكر مفهوما جديدا لعلاقة الفاعل بالمفعول فحسب وانما مشروع اساسي يعيد التفكير في اساسيات الفلسفة ذاتها واساسيات المعارف الاخرى ، وطموحها للانضمام الى الكلية .
ان الوعي وادراك جوهر الاشياء يعني بناء طموح لعقل الانسان ولرؤاه التحليلية القادرة على البناء المستمر والطموح.

وكان تاثير الظاهراتية كبيرا بين الحربين العالميتين وغداة الحرب العالمية الثانية ، ووسع العديد من طلاب وتلاميذ (هوسرل) من دراسات استاذهم واستانفوا بحثها في المانيا ومن هؤلاء ماكس ثيلر (1874-1928) واوجين فانك(1905-1975) ومارتن هايدغر مساعد هوسرل في جامعة (فريبورج) وخليفته في كرسي الاستاذية ، في الفلسفة حيث تمسك الاخير بالمسالة الاساسية لوجود الذات التي بقيت الفكرة الرئيسية في اعماله ، اكثر من تمسكه وعلى غرار استاذه باشكالية الفاعل والمفعول والعلاقة العكسية بين الوعي والعالم، فقد استلزمت مسألة وجود الذات التي لا يتطرق لها سوى الانسان، تفسير ظاهراتية الوجود الانساني ، اما الفكرة الاساسية للفيلسوف الفرنسي موريس مورلو بيونتي (1908-1961) فهي المفهوم المثالي للوعي الخالص ، واذا كان هذا المؤلف قد اعاد استخدام المبدأ الظاهراتي لهوسرل وهو العودة الى الذات الاشياء ، فذلك من اجل تكوين قاعدة للفلسفة الوجودية فكرتها الرئيسة التجربة الحقيقية وعلاقة الوعي بالعالم ، وبالاخرين ولايعتمد هذا الوعي على رأي جزئي وانما هو وعي ملتزم لانه في اتصال دائم مع العالم ، وانما يرى سارتر ان الوجود يسبق الجوهر دائما وقد ميز في كتابه (الذات والعدم) 1943م المتمم فلسفيا لاعمال هيغل وهوسيرل وهيدغر ، نوعين من الذات :الاولى هي الذات في الذات : المستقلة عن الوعي والذات من اجل الذات وهي ذات الانسان المحددة بالوعي وأوضح ان العدم يولد فقط بوجود وعي الانسان فهو يتمكن ولكونه حاملا لخاصية الرفض من الظهور بما اسماه مشروعا للذات أي :/ ان الانسان لايكون فقط بالشكل الذي عليه ، بل بما يقوم به وهكذا فان ذات الانسان ترتكز على الحرية لانه لا يتمكن على الاطلاق من الهروب من واجب تحقيق ذاته ، اذا هو مدان ليصبح حرا ويتمحور الفكر السارتري حول الوجود والحرية بوصفهما اسلوبين لتحقيق التكافؤ والمساواة.

وعرف الكثير من العامة هذا المفكر عبر مؤلفاته الادبية والمسرحية اكثر من مؤلفاته الفلسفية ، والسؤال كم من العامة لدينا

لديهم الوعي الكافي لمعرفة فكر معين ومتابعة مفكر او كاتب او مسرحي او حتى عالم، ومن هنا اقول ان الوعي المجتمعي لدينا لايستطيع متابعة الواقع المعرفي بشكل كبير بل حتى ضئيل فمن يتابع ما يكتب على الساحة لا يتعدى عدد الاصابع والمشكلة ليست فقط في المثقف غير المنفتح على المجتمع بل المشكلة مع المجتمع نفسه، والا كيف استطاعت الامم ان تستفيد من كتابها وعظمائها فنرى الامة الروسية استطاعت ان تسوق لديستوفسكي الروائي الكبير حتى غدا مرجعا انسانيا عالميا فلذلك نرى رواية "الجريمة والعقاب" التي جسد فيها شخصية (راسكولينيكوف) الذي كان يمثل حياته الشخصية ومعاناته بقراءة سايكولوجية غاية في الدقة ، استطاع الشعب الروسي ان يجعل من ديستوفسكي معلما حضاريا انسانيا واستطاع الفرنسيون ان يجعلوا من جان جاك روسو معلما فلسفيا غاية في الروعة بعدما تفاعلوا معه والا كيف تستطيع التسويق لثقافتك دون ان تتفاعل معها ، صحيح ان ديستوفسكي عاش حياة ملؤها الالم والمعاناة في ظل اهمال متعمد ولكنه استطاع ان ينطلق برؤيته السايكولوجية الى العالم باجمعه عبر تفاعل الشباب والمجتمع الروسي كلها مع رواياته ، اما لدينا فالناس نيام لا يتفاعلون مع المفكرين والكتاب والروائيين بل يتفاعلوا مع رجال الدين المشوشين للافكار والذين يسوقون افكارا رجعية تخلفية تصنع انتكاسات فكرية ، لذلك نرى شبابا من مجتمعنا ينساقون خلف رؤى فكرية متخلفة للغاية لانهم لم يقرؤوا في حياتهم سطرا معرفيا واحدا مما يجعل جل ثقافتهم شفاهية وليست قرائية ، ان ازمتنا المجتمعية تتشكل في نرجسية المثقف التي سنتحدث عنها كثيرا وعدم تفاعل الشباب في المجتمع مع المثقف يشكل ازمة معرفية ثقافية كبيرة.

ملحوظتان:/

1- ان ادراك جوهر الاشياء من قبل ابناء المجتمع يعني بناء طموح لعقل الانسان وللتحليل المنطقي الذي نحتاجه للمعرفة .

2- ان شباب اليوم في غالبيتهم للاسف الشديد نراهم نتاج المؤسسة الدينية والعشائرية بعيدا عن روح المدنية الذي تطمح اليه رؤى النهضة ، من هنا اقول ان البعض منهم يدعي المدنية بتعلمه في الكليات والجامعات ولا يعرف انه عبارة عن مجرد متعلم ليس اكثر فالثقافة والتنوير هو شيء اخر قد تجده عند عامل بناء او كاسب او سائق حافلة لكنه ليس متعلما ، لذلك اقول ان عامل البناء المتنور الرافض لمشاريع رجال الدين وللنصوص الدينية التي تكرس التخلف هو افضل من خريج كلية يدعي انه فيزيائيا او كيميائيا او مهندسا او طبيبا لكنه متخلفا ، وما علم هذا الفيزيائي ان اغلب علماء الفيزياء ومثلهم في الكيمياء كانوا فلاسفة بالاضافة الى كونهم علماء في مجالات اختصاصهم.

22- التسامح عنوان للوعي والتغيير :

يقول جون لوك(1632-1704)(اناشد ضمائر اولئك الذين يضطهدون ويعذبون وينهبون ويذبحون غيرهم من الناس بدعوى الدين، ان يخبروني هل يفعلون ذلك بدافع من المحبة والاحسان، فان كانوا كما يزعمون بسبب من المحبة والاحسان يسلبونهم اموالهم ويشوهون اجسادهم ويفرضون عليهم السجن والجوع ويسلبونهم الحياة ابتغاء منحهم الايمان وابتغاء نجاتهم فلماذا اذن ينتشر بينهم الزنا والغش والخبث وسائر الامور الجديرة بالكفار اليست هذه الامور وامثالها، اشد تعارضا مع مجد الله وطهارة الكنيسة ونجاة النفوس) هذا هو نص من عدد من النصوص المهمة التي وردت في رسالة التسامح لجون لوك، هذه الرسالة التي اثارت الوعي كثيرا لدى الاوربيين في هز صورة رجال الكنيسة وكشف حقيقتهم الزائفة ، وسأتكلم عن هذه الرسالة ، ضمن هذا الكتاب لاهميتها ولقدرتها على كشف زيف رجال الدين الذين

ابتلي بهم مجتمعنا ، وكذلك السياسيين الذين خلطوا الدين مع السياسة ، وسأتكلم عن الرسالة بجملة من النقاط لتوعية الناس بها:/

1-تركيزه ومن خلال القول الذي ابتدأت به هذا المبحث من الكتاب على تناقض رجال الدين وسلبياتهم فهم يزعمون المحبة والاحسان للناس ولكنهم في الحقيقة يمارسون أسوا الممارسات من كره واضطهاد وعذاب ونهب.

2- أراد ان يضع حدودا بين امور المدينة وامور الدين وان توضع حدود دقيقة عادلة بين الكنيسة والدولة .

3- تكلم عن موضوع الخيرات المدنية التي لخصها بالحياة والحرية وسلامة البدن وحمايته ضد الالم وامتلاك الاموال.

4- ايمان الحاكم بقانون مفروض على الجميع بالتساوي .

5- سلطة الدولة لا تتعلق الا بالامور المدنية ، وانها مقصورة على رعاية شؤون هذه الدنيا ولايحق لها ان تمس أي شيء يتعلق بالحياة الاخرة .

6- حدد جون لوك سلطة الكنيسة حيث اعتبرها أي الكنيسة :عباة عن جماعة متحدين غرضهم النجاة في الحياة الاخرة ،لذلك عليهم حصر قوانينهم داخل حدود الكنيسة.

7- تكلم عن التسامح ، وطالب بحماية ممتلكات الغير من غير المسيحيين ،فلا يحق لاي شخص كان ان يضر باموال الناس بدعوى انهم يؤمنون بدين اخر او يمارسون شعائر اخرى .

8- لا الافراد ولا الكنائس ، ولا الدول لديها أي مبرر عادل للاعتداء على الحقوق المدنية وسلب الاخرين اموالهم الدنيوية بدعوى الدين ومن يرون غير هذا الرأي فهم يشجعون على المنازعات والحروب.

9- رجال الدين تنحصر سلطتهم داخل حدود الكنيسة ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان تمتد الى الشؤون المدنية ، لان الكنيسة نفسها منفصلة تماما ومتميزة من الدولة ومن الامور المدنية.

10- ان يكون الحاكم السياسي اكثر حبا للناس واكثر التزاما بالحب تجاه اخوانه اضافة الى التزامه بالقوانين وقدرته على اشاعة المحبة والاحسان.

وكل هذه القضايا التي تكلمت عنها من رسالة التسامح لجون لوك ، تؤكد على الدور الثقافي والمعرفي لهذه الرسالة وقدرتها على اشاعة التسامح داخل المجتمعات وانها مهمة جدا ، كما اود الاشارة الى ان هذه الرسالة ساهمت وبشكل كبير في وضع رجال الدين في موضعهم الحقيقي البعيد عن المدنية وممارسة السلطات داخل المجتمع وان يحصر دور رجال الدين داخل المسجد فقط، والسؤال متى سينتبه مجتمعنا الى الدور السلبي الذي يقوم به رجال الدين ، وان يضعهم في موضعهم الحقيقي .

ان البيئة التي يصنعها رجل الدين هي:بيئة مغلقة تشبه حالة التنويم المغناطيسي بحيث يرى المرء اشياء لا وجود لها ، ان الوعي الجماعي في البيئة المغلقة ميثولوجي ، وان التعددية في الرؤية داخل المجتمع المغلق ناجمة عن عزلته ، كما ان المشكلة لدينا اليوم هي في المزاوجة الحاصلة بين رجل الدين والبداوة كمصطلح اشمل ، والمتجسدة في شيخ العشيرة بمعنى ان اغلب العشائر اليوم تحتفي برجل الدين احتفاء كبيرا والعكس صحيح ، ان رجل الدين يحافظ على دور له داخل العشيرة ويحرص على التواصل معها، على الرغم من معرفته ان اغلب قوانين العشائر تتعارض مع الكثير من رؤى الدين ، ولكن المصالح الفئوية التي يحصل عليها رجل الدين لاسيما (الروزخون) من العشيرة تفرض عليه ان يدمن التواصل معها، ويحضرني تعبير مهم للدكتور فالح عبد الجبار العالم الاجتماعي العراقي ، حين يعتبر ان نمو البداوة ،او هيمنة القيم البدوية تتناسب طرديا مع ضعف الدولة المركزية ، او ضعف الحواضر ، وهذا ما نراه اليوم حاضرا بقوة في مجتمعنا ،فالقانون يشكل سلاحا رادعا لدور العشيرة في المجتمع ودور رجال الدين.

ملحوظتان:

1- **ان رسالة التسامح لجون لوك تمثل وثيقة انسانية غاية في الروعة وتقدم منهجا دسما للمعاني السامية لرفعة الشان الانساني .**
2- **ان العلاقة بين رجل الدين ورجل العشيرة الممثل للبداوة اخذ منحى خطيرا في مجتمعنا في الاونة الاخيرة، حتى اصبح الاثنان**

ممتزجـان تمامـا، وحتـى اضـحت العلاقـة خـارج الاطـار الاخلاقـي الانسـاني ،فأفقـدت المـادة صـواب كليهمـا فأصـبح رجـل الـدين منظرا لرجل العشيرة ورجل العشيرة مدافعا وممولا لرجل الـدين ،فالعلاقة بينـهما طردية تماما ومستقرة وثابتة .

23- اللاعنف جزء اساسي من اساسيات الوعي المجتمعي:/

تعتبر مقالة اللاعنف او العنف السلبي التي نوردها هنا كاملة ، من اهم مائة نص اختيرت في القرن العشرين ، وهي تلخص فلسفة غاندي ، حيث تكلم فيها عن المفاهيم التالية :/

1- **التوزيع المتساوي: وفيه طالب غاندي ان ينال كل انسان الوسائل لاشباع كل حاجاته الطبيعية ، لان هذه الامور ان تحققت حسب رؤية غاندي ،فانها ستسهم في بث الرضى والسعادة وستساعد في قيام مجتمع اللاعنف الذي سعى اليه (موهاندس) .**
2- **العمل الفردي: وفيه يعتبر الا حاجة بأي امرء لانتظار أي شخص اخر ، كما يشرع بسلوك الطريق القويم، وعلى الانسان عدم التردد في سلوك الطريق القويم، لان التردد عقبة كأداء امام التقدم.**
3- **دور الاثرياء: وهنا يركز على ان الاثرياء يجب الا تزيد حصصهم على حصص جيرانهم ، وان يستخدموا ثروتهم في نفع المجتمع وليس فقط في حاجاتهم ويركز على عدم سلب الاثرياء ثروتهم عبر سلوك العنف.**
4- **مصطلح (خادم المجتمع): وفيه يقول ان المرء عندما يعتبر نفسه خادما للمجتمع، يكسب لخير هذا المجتمع ، وينفق لنفع هذا المجتمع، فان هذا سيسهم في تحقيق مبدا اللاعنف الذي يحتاجه المجتمع. ونرى من المضحك اليوم استخدام هذا المصطلح من قبل بعض السياسيين وهم في قمة فسادهم الاداري والمالي وعدم اصلاحهم الوضع بصورة حقيقية مما يدلل على كذبهم ويخيل اليهم انهم قد قاموا بفعل جيد وانهم قد خدموا المجتمع فعلا ، وما دروا ان واجبهم هو خدمة المجتمع فهم ليسوا متفضلين عليه ، فهم يتقاضون رواتبا امام اعمالهم التي من الواجب ان تصب في خدمة المجتمع ولكنها تصب في خدمة مصالحهم الفئوية والحزبية الضيقة ، وبعضهم عند خروجه من منصبه يقول لولاي لما حدث كذا وانا قمت بكذا ،**

وما علم ان هذا واجبه وانه لم يك متفضلا باعماله التي يتبجح بها ، فانت كنت مسؤولا ، وهذه هي واجباتك ....!!!!!

5- اللاعنف: ويسميه (أهيمسا) وتعني هذه الكلمة :الامتناع عن ايذاء أي كائن حي.
6- قانون الله: وفيه يعتبر ضرورة عدم اقتلاع أي دين من المجتمع ، وهذا المسعى لن يتم فهو مسعى نافل ، واذا ما قدر نجاح هذا المسعى فهذا سيسهم في خراب المجتمع ، لاهمية الدين في حياة الامم.
7- التعاون اللاعنيف :وفيه يعتبر ان ليس بوسع الاغنياء مراكمة الثروة من دون تعاون الفقراء في المجتمع ونتيجة خبرة الانسان في المسعى ليصبح انسان فقد اتاح لمعرفة قوة اللاعنف ان تتغلغل في روحه.

والمستقرئ لكل هذه المعاني المهمة يرى الوعي الذي احدثه غاندي عبر مقاله المهم هذا والذي نثبته هنا لاعمام الفائدة ولاحداث وعي مجتمعي حقيقي وليس مازوم.

نص المقال لغاندي الذي اختير من اهم مائة نص في القرن العشرين وهو يلخص فلسفته:/

1- التوزيع المتساوي: المضمون الحقيقي للتوزيع المتساوي هو ان ينال كل انسان الوسائل لاشباع كل حاجاته الطبيعية ولا ازيد، فمثلا ان كان انسان ما ذا قدرة هضم ضعيفة ولا يتطلب سوى ربع رطل من الدقيق خبزا، وكان اخر يتطلب رطلا كاملا فينبغي ان يكون الاثنان في وضع كفيل باشباع حاجاتهما.

ان تحقيق هذا المثل الاعلى يقتضي اعادة بناء مجمل النظام الاجتماعي ولا يمكن للمجتمع القائم على اللاعنف ان يرى مثلا اعلى خلاف ذلك، قد لا نكون قادرين على بلوغ هذا الهدف ولكن ينبغي ان نحمله في الذهن ونسعى بلا كلل للاقتراب منه ، وبمقدار ما نقترب من هذا الهدف سنجد الرضى والسعادة ، وبمقدار ما نتقدم لبلوغ هذا الهدف نسهم في قيام مجتمع اللاعنف.

2- العمل الفردي :/ يمكن للفرد تماما ان يعتنق طريقة الحياة هذه دونما حاجة الى انتظار الاخرين لكي يفعلوا ذلك واذا كان بمقدور فرد واحد ان يلتزم بقاعدة معينة للسلوك، يستتبع ذلك ان بمقدور مجموعة افراد ان تحذو حذوه ، ويتوجب علي ان اؤكد هنا انه لا حاجة بأي امرء لانتظار أي شخص اخر كيما يشرع في ارتياد السبيل القويم، فالبشر يترددون عموما في البدء بامر جديد حين يشعرون ان الهدف عصي على البلوغ بمجمله ، ان مثل هذا التردد عقبة امام التقدم. دعونا الان نعاين كيف يمكن تحقيق التوزيع العادل عن طريق اللاعنف ،الخطوة الاولى في هذا الاتجاه لمن اتخذ هذه الفكرة مبدأ اعلى ان يقوم بالتغيرات الضرورية في حياته الشخصية بالذات، ولسوف يبدا بتقليص حاجاته الى حد ادنى واضعا نصب عينيه استشراء الفقر في الهند ولسوف يخلص مسلكه من الزيف، وينبذ المضاربة وان يعتاد على الالتزام بهذا النمط الجديد من العيش ولسوف يمارس ضبط النفس في كل ميادين الحياة .

وحين ينجز كل ما يمكن انجازه في حياته الخاصة ، سيكون في وضع يجيز له التبشير بمثاله الاعلى وسط الاخرين.

3- دور الاثرياء: لابد للعقيدة التوزيع المتساوي من ان تقوم جذورها في مبدا وصاية الاثرياء على فائض الثروة مما يملكون فحسب عقيدة التوزيع هذه لا يجوز لهم امتلاك روبية واحدة ازيد من جيرانهم.

فكيف نحقق ذلك؟ باللاعنف؟ ام ينبغي انتزاع املاك الاثرياء ؟ان قيامنا بنزع الاملاك سيقودنا تلقائيا الى التماس العنف ، والعنف لا يمكن ان ينفع المجتمع ،فالمجتمع سيزداد فقرا ،لانه سيخسر مواهب اناس يعرفون كيف تراكم الثروة. وعليه فان طريق اللاعنف ارقى بالبداهة ،فالثري سيترك في حيازة ثروته ، كيما يستخدم منها ما يراه لازما بالعقل لحاجاته الشخصية، ويتصرف كوصي على التصرف بالباقي خدمة للمجتمع وتفترض هذه الفكرة نزاهة الوصي.

4- خادم المجتمع /
ما ان يعتبر المرء نفسه خادما للمجتمع، يكسب لخير هذا المجتمع وينفق لنفع هذا المجتمع ، فان النقاء سيشيع فيما يكسب ، ويمتاز هذا المسعى باللاعنف (أهيمسا Ahimsa) . زد على هذا ، اذا ما توجهت عقول البشر الى هذه الوجهة في الحياة قام مجتمع سلمي ، خال من المرارة .

5- اللاعنف (أهيمسا):
تعني هذه الكلمة الامتناع عن ايذاء أي كائن حي، قد يسال سائل ان كان التاريخ قد سجل في ايما حقبة تبدلا في الطبيعة البشرية ، مؤكد ان مثل هذه التبدلات وقعت عند افراد، ولعله ليس بوسع المرء ان يشير الى وقوع هذه التبدلات في مجتمع كامل باسره ، غير ان هذا لا يعني سوى عدم وجود تجربة واسعة النطاق في اللاعنف. وقد صادف الامر على هذا النحو او ذاك، ان الاعتقاد المغلوط استحوذ علينا الى درجة ان اللاعنف بات سلاح الافراد بالاساس، وان استخدامه ينبغي ان يقتصر على هذا الميدان، الواقع ان الحال غير ذلك، فاللاعنف سمة من سمات المجتمع وان اقناع الناس بهذه الحقيقة هو مسعاي وتجربتي في ان.في عصر العجائب هذا لا يقول قائل ان شيئا ما او فكرة ما بلا قيمة لمجرد ان هذا الشيء جديد او هذه الفكرة قديمة ،فثمة اشياء ما حلم بها احد من قبل صارت ملء النظر في حياتنا اليومية ، والمحال يغدو ممكنا، ونحن نصاب بالدهشة والعجب هذه الايام دون انقطاع بازاء الاكتشافات المذهلة في حقل العنف، لكني اعتقد ان الاكتشافات التي تبدو محالا وحلما متعذرا في مجال اللاعنف سوف تتحقق، وان تاريخ الاديان حافل بمثل هذه الامثلة.

6- قانون الله: ان محاولة اقتلاع الدين نفسه من المجتمع مسعى نافل ، واذا ما قدر لمثل هذا المسعى ان ينجح فان ذلك سوف يعني خراب المجتمع ،ان الخرافات والعادات السيئة وغير ذلك من مثالب تزحف من عصر الى اخر، لتلوث الدين الى حين، وان هذه الزوائد تاتي ثم تزول غير ان الدين نفسه باق، لان

وجود العالم بمعناه الواسع يتوقف على الدين، قد يقال ان التعريف النهائي للدين هو الخضوع لشريعة الله وان الله وشرعة الله هما اصطلاحان مترادفان وعليه فانه يشير الى شرعة حية ، لا تتبدل الواقع ان احدا لم يره ، لكن الاف الانبياء بفضل حكمتهم قد اعطوا البشرية لمحة وجيزة من القانون الازلي.

7- التعاون اللاعنيف:

واذا احجم الاثرياء رغم اقصى الجهد، عن ان يكونوا حماة للفقراء بالمعنى الدقيق لكلمة الحماة، وانسحق الفقراء او ماتوا جوعا، فما العمل؟ في مسعى لايجاد حل لهذه المعضلة ،فقد اوصيت بالتعاون اللاعنيف بوصفه الوسيلة الصائبة والمعصومة، ليس بوسع الاغنياء مراكمة الثروة من دون تعاون الفقراء في المجتمع، لقد ابدع الانسان في العنف منذ البداية ، لانه ورث هذه القدرة عن الحيوان الكامن في طبعه، وان ارتقاءه الى مرتبة الانسان اتاح لمعرفة قوة اللاعنف ان تتغلغل في روحه ولقد نمت هذه المعرفة فيه نموا وئيدا، ولكن اكيدا، واذا كان يراد لهذه المعرفة ان تتغلغل في الفقراء وتنتشر في اوساطهم ،فانهم سيصبحون اقوياء ، ويتعلمون كيف يحررون انفسهم ،عن طريق اللاعنف ، من اللامساواة الساحقة التي اوصلتهم الى شفا الهلاك.

ملحوظتان:/

1- من اقوال غاندي المهمة التي اثبتها هنا للفائدة ايضا :/

(سيان عند الموتى واليتامى والمشردين ان كان الدمار المسعور قد حاق بهم باسم الشمولية ام الليبرالية). كذلك يقول: (ثمة اسباب كثيرة تدفعني الى تقبل الموت من اجلها ، ولكن ما من سبب واحد قد يدعوني لان اقتل انسانا واحدا من اجله). اما المثالب السبعة التي لدى غاندي فهي: (ثروة بلا عمل، ، لذة بلا ضمير ، تجارة بلا وازع علم بلا انسانية ، عبادة بلا تضحية ، سياسة بلا مبادئ، حقوق بلا مسؤوليات)،(اللاعنف له جذور في كل الاديان) ،(مبدأ العين بالعين سيصيب العالم كله بالعمى).

2- ان كلمة اللاعنف والتسامح وغيرها من كلمات مهمة ينبغي ان نركز عليها كثيرا محدثين بها وعي لانفسنا أولا ،نحن من نعتبر انفسنا مثقفين، ونحن ابعد ما نكون عن معاني الوعي تجاه بعضنا البعض وتجاه التفاعل مع مجتمعاتنا ، كما ينبغي الحذر من النزاعات التي تحدث وعلى راسها النزاع الشخصي ونزاع العمل.

24- وعي المثقف المأزوم:
نحن عندما نتحدث عن الوعي المجتمعي ، لسنا بمعزل عن هكذا وعي ،فالمثقف في مجتمعاتنا اليوم فقد الوعي وضمن ابعاد كبيرة ساتناولها بالشكل التالي:/

1- **المثقف لم يستطع ان يتجاوز العوائق ، فالعوائق مريرة اليوم وكثيرة على المستوى الديني والعشائري حتى ، فالمثقف نراه اليوم مهادنا لهذه المؤسستين فمن المضحك ان نرى عضوا في اتحاد الادباء منغمسا مع مؤسسة العشيرة ، دون ان يشير الى السلبيات التي تكتنفها ، كما ونراه متحدثا لبقا ينادي بالمدنية ، وعندما يلتقي بشخص لاول مرة يساله (من أي عمام انت؟) يقصد من اية عشيرة ، فالبداوة متداخلة في شخصيته .**
2- **كذلك علاقته مع المؤسسة الدينية ،ينادي بالعلمانية ونراه يذهب مشيا على الاقدام مع ملايين من الناس التي تزور الحسين في موسم عاشوراء ، نحن لسنا ضد هذه الطقوس طبعا، فنحن نحترمها وهي طقوس يقوم بها الملايين من الحجيج سنويا ، وهذا من باب احترام التعددية ، ولكن عندما يكون المثقف جزءا من هذه الملايين يؤدي طقسا لا واعيا وينشر صوره عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهو ماشيا، وعندما يجالس مجالس الفكر والثقافة يعترض على هؤلاء الحجيج وما يؤدوه من طقوس ولايؤيد عملهم، فهذا هو قمة التناقض والازدواجية ، والسؤال اذا كان المثقف متناقضا حد هذه الدرجة ، فكيف يستطيع بث الوعي المجتمعي ، هذا من باب ومن باب اخر .**
3- **نرى البعض من مثقفي اليوم متعاليا على ابناء مجتمعه ، فنرى نرجسيته التي مني بها واكتسبها من الوسط والتي جعلت منه بعيدا عن واقع مجتمعه وعلاج هذا الواقع علاجا انطلاقا من رؤى المثقف ، فان كان شاعرا عليه ان يعالج المجتمع انطلاقا من شعره مع محافظته على الخيال كي لا يقع بالواقعية المباشرة، وان كان قاصا يعالج مشاكل المجتمع انطلاقا من**

قصته وهكذا، اما ان يكون سجين نرجسيته بعيدا عن واقع مجتمعه وعلاجاته فهذا هو ما يحصل اليوم.

4- عدم القدرة على تطوير الوسائل ، فالمثقف اليوم غير قادر على تطوير وسائله فهو منشغل بوسائل قديمة جدا فيتكلم البعض منهم بماركس وانجلز دون ان يشتغل بنقد المنهج الفكري لهؤلاء ودون ان يغادر مناطقهم فهو عبارة عن مجتر لثقافة الاخرين دون ان تكون له ثقافة حقيقية ، واضحة المعالم، ضمن هويته، فالاخذ من الغرب مهم جدا ولكن بشريطة ان تكون لنا الهوية المحددة لمعالمنا.

5- توظيف المكتسبات امر بعيد جدا عن واقع المثقف النرجسي اليوم، فان هنالك مكتسبات في المجال الفكري ، نرى المثقف اليوم غير قادر على توظيف هذه المكتسبات ، أي انه :تنظيري غير قادر على التطبيق.

6- بالنتيجة نرى المثقف اليوم غير قادر على تحقيق المنجزات فعدم تجاوزه للعوائق وعدم تطويره للوسائل، وعدم توظيفه المكتسبات يؤدي الى عدم تحقيقه المنجزات والعلاجات اظن ان المعادلة التالية تفي بالغرض الذي ننشده:

تجاوز العوائق+تطوير الوسائل + توظيف المكتسبات= تحقيق المنجزات ـــــــ التي تؤدي الى ـــ تحقيق الوعي المجتمعي.

فالعجز عن مواجهة التحديات يؤدي الى العجز عن تحقيق الوعي الحقيقي للمجتمع لذلك نرى المثقف اليوم غير قادر على التاثير في المجتمع لانه سجين نرجسيته وعدم اندماجه مع المعنى الحقيقي للثقافة وتناقضاته تجعله كل هذه الامور مجتمعة منفصلا عن مجتمعه وحاجات ذلك المجتمع.

فتراه عاجزا عن معالجة الفقر ، فهو دكتوراه في الاقتصاد ويحمل ثقافة اقتصادية واكاديمية لكنه غير قادر على معالجة المشاكل الاقتصادية التي ينوء بها مجتمعه وامته.

تراه ينادي بالحرية ولكنه مستبدا حتى مع اهل بيته ، فهو ينادي بمكافحة الفساد ولكنه يمارسه انطلاقا من موقعه في دائرته او في

عمله، تراه ضد العنف لكنه يمارس العنف باقسى اشكاله مع اولاده الذين قد يكونون مختلفين معه فكريا والاختلاف حالة طبيعية جدا.
تراه ضد الماضوية تنظيرا ولكنه غارق بها حد الثمالة فالماضي نراه اليوم متحكما بالعقول والاجساد والحصيلة هي تخريب الحاضر وتدمير المستقبل ، أي :ان المثقف اليوم لا توجد عنده صورة واضحة المعالم للمستقبل في مجتمعه وهذه اشكالية كبيرة عليه.

المثقف والمعالجات البيئية:/

يقول علي حرب(ان ضريبة الذكاء البشري ،هو ان يصنع الانسان مالا قبل له بالسيطرة عليه) وهنا اقول :ان الانسان صنع المصانع والشركات العملاقة التي تستخرج النفط اليوم في العالم وتصنع السيارات العملاقة والمحركات العملاقة وتحدث تلوثا خطيرا يهدد البيئة المستدامة للانسان وهنا السؤال: ماهو دور المثقف في مكافحة هذا التلوث والوقوف ضده؟ فالتلوث اليوم في مدينتي (البصرة) ياخذ شكلا خطيرا وهو يعمل عمله بتلويث الهواء والماء ومصادر الغذاء ،فاين دور المثقف من الوقوف ضد هذه المساوئ البشرية ؟ فنرى في العالم دور كبير لناشطين ومثقفين يبرز عاليا للحديث عن موضوعات شتى ، فمن اشاراتهم لثقب الاوزون وكونه يتسع يوما بعد يوم والى انصار البيئة الذين اعترضوا على مشروع قانون الطاقة الامريكي في السنوات الاخيرة والذي هدف الى منح مليارات الدولارات كحوافز لاصحاب الشركات النفطية ومرافق الكهرباء ومحطات الطاقة النووية ومحطات الفحم دون قيام هذا المشروع المقدم منح المستهلكين الامريكيين سوى حوافز قليلة لترشيد الاستهلاك.
هذا كمثال نسوقه على تفاعل المثقف العضوي مع البيئة ، ولكن قد يعترض علينا معترض ويقول هؤلاء نشطاء في المجال البيئي وليسوا مثقفين، اقول ان هؤلاء الناس هم اقرب الى الثقافة من أي شخص اخر فهم لديهم وعي بيئي ، ومن يمتلك الوعي في مجال معين هو مثقف عضوي حقيقي وان لم يكتب او يشير .

فالسؤال ماهو وعينا اليوم بظاهرة خطيرة كظاهرة الاحتباس الحراري على سبيل المثال او التصحر الذي بدا ومنذ زمن بالغاء المساحات الخضراء في بلادنا مستبدلا اياها بصحارى مقفرة حيث يقول البروفيسور (كريس توماس) استاذ علوم حماية الاحياء بجامعة ليدز، في انجلترا في دراسة اجراها :ان ما يتراوح بين (15%-37%) من جميع المخلوقات ، يمكن ان يبلغ حد الفناء نتيجة التغيرات المناخية بحلول عام 2050م مع تقدير متوسط يبلغ 24% منها أي ما يربو على مليون نوع.

واوضح في دراسته ان الانبعاثات الناجمة عن عوادم السيارات والمصانع يمكن ان ترفع حرارة كوكبنا مع نهاية القرن الى مستويات لم تشهدها الارض في فترة تتراوح بين مليون وثلاثين مليون سنة داعيا الى الاستعانة بتكنولوجيا جديدة ونظيفة لتوليد الطاقة ، اين وعينا من هذه الارقام المخيفة ، هل الف شاعر من البصرة قصيدة في احداث وعي بيئي مجتمعي تغنى على سبيل المثال او قام رسام باحداث هكذا وعي عبر رسمه سواء كان في المجال البيئي او في غيره من المجالات.

ملحوظتان:/

1- ان الاشكالية التي احدثها المثقف كبيرة جدا في مجتمعنا وعلينا ان نعترف بها، فالمثقف المخدر بوعي مازوم وعدم قدرته على التاثير سبب مشكلة واحدث تعصبا وتطرفا من حيث اعتبار نفسه هو القائد للمجتمع وهو لايصلح ان يقود حتى نفسه، في مجال الوعي واحداثه.
2- الوعي البيئي: هو وعي مهم ينبغي ان ينتبه اليه المثقف شاعرا كان ام كاتبا ام مسرحيا لكي يكون محدثا للوعي في المجال البيئي وهذا يصب في مجال التنمية المستدامة التي تحدثت عنها مليا في كتابي (التنمية وواقعها الاممي) الصادر عن :شبكة الاعلام العراقي.

25- عقم الافكار:/
ان عقم الافكار التي يصل اليها أي مجتمع يؤدي الى مجموعة افكار سائدة ليس لها واقع تطبيقي تؤدي الى عقم شديد بانتاج نتائج ايجابية للافكار المطروحة ، ان هذا العقم بمعية العجز عن تجديد الافكار سواء بتوليدها او بتطويرها ،يؤدي الى الاشكاليات المعرفية.
فالمثقف عندما يصل الى عجز بتوليد الافكار وعجز بتطويرها ، يؤدي هذا العجز بان يضحى المثقف في المؤخرة وهو يدعي انه في المقدمة ، ويدعي تحرير الامة والمجتمعات ولا يعلم انه غير قادر على تحرير نفسه حتى، وهذه واحدة من مشاكل المثقفين وازماتهم المتكررة والمتعددة، فالمثقف عليه ان يكون قادرا على ان يولد الافكار المنتجة للمشاريع الحيوية داخل المجتمعات، كما عليه ان يفهم ان لا وصاية له على المجتمعات بتاتا، فهو غير قادر على ان يحدث نشاطا معرفيا واضحا الا ضمن نطاق محدود وهذا ما نراه اليوم.
لذلك اضحت الهوة كبيرة بين النخب الثقافية وحتى الاكاديمية المنتجة او الناقلة للمعرفة وبين المجتمع، فهذه الهوة ساهم في خلقها المثقف نفسه، عندما عزل نفسه عن المجتمع والامة وجعل من نفسه منارا دون منارة، يبنيها لابناء مجتمعه ،فالمثقف غير واع انه في هذا العصر امام الانسان الاستهلاكي الذي يؤول به شرهه وشراسته الى الهلاك والخراب، فعليه ان يعرف كيف يعالج المشاريع المتلكئة والتي اصابها الخراب داخل المجتمع حتى اضحت الهوة كبيرة بين الثقافة والحياة والمشاريع والمالات والنظريات والمجريات، فالعالم يتغير وافكارنا جامدة فهنالك سبات نخبوي على مستوى المثقف والاكاديمي، اما المتعلمين فسباتهم عقيم ويطول شرحه ، يصدمنا دائما بمقترحاتهم واتباعهم الاعمى للمؤسسة الدينية ، كما علينا الا ننتبه للافكار وكانها مسلمات فكرية فحكمنا على الاشياء يصبح متطرفا، فالعولمة عندنا اعتبرها البعض شر محض والاخرون اعتبروها خير محض في حين هي ثورة ناعمة ومزدوجة علمية وتقنية ، وهي ككل ثورة او ظاهرة او تحول او

انعطاف انما تتوقف خطورتها على طريقة التعامل معها ، فقد نحولها الى شر محض بمحض اختيارنا وارادتنا او خير محض بنفس الطريقة وكل هذه الامور بحاجة ماسة الى استخدام وسائل الاعلام الاجتماعية في رفع مستوى الوعي ،في قضايا العولمة والمثقف، ودوره في احداث الوعي المجتمعي حول انتهاكات حقوق الانسان ومفاهيم العدالة الاجتماعية ، فالدفاع عن تلكم الحقوق ونشر وتوثيق الانتهاكات على سبيل المثال داخل المجتمع :هي جزء من احداث وعي حقيقي بالذي يحصل.

لقد اخطا فوكوياما في استشرافه المستقبل على تعبير (علي حرب) الذي راى فيه انتصار لليبرالية والديموقراطية والاقتصاد في السوق، ولكنه كان اول من قام بمراجعة لمقولته بعد عشر سنوات على اطلاقها واضعا يده على اشكال كبير، كون الانسان ما زال عاجزا حتى الان بكل انماطه الثقافية عن بناء هندسة اجتماعية تحقق قدرا من الوعود الالفية ، باقامة مجتمع السلام والعدالة والرفاه، فنحن بحاجة الى التحرر من الحتميات والمواقف الصارمة ، لكي نخرج بنتائج مهمة نعالج من خلالها العالم ومساوئ المجتمعات ، واعادة صياغة مرجعيات ثقافية رصينة لنا كمثقفين، وعلى راي علي حرب (ان لنا المشتغلين في صناعة الافكار او بانتاج العلوم والمعارف ، ان نتغير من حيث علاقتنا بمهننا ومكانتنا ودورنا في صناعة الحياة وبناء المجتمع، فلا مهرب من تغيير مركب ، يطال الافكار وطريقة التفكير ، ودور المفكرين اذا شئنا ان نسهم في صناعة الاحداث وبصورة ايجابية وفعالة او راهنة ، وبداية ذلك ممارسة التواضع ، اولا بالكف عن اثبات صفات الالوهة والعبقرية على بعضنا البعض ، وسواها من التهويمات او التشبيهات التي تجعلنا ننسب حركة او ثورة الى اديب او عالم او فيلسوف)، ان علينا ان ننظر بعين التقدم البناء الى كل هؤلاء هم ومسمياتهم واعمالهم بعيدا عن المجاملات الفارغة غير الرصينة، من هنا حضرت جلسة مناقشة حاضر فيها مجموعة من الاساتذة في الجامعة ، واذا باسباغ المجاملات كان غير معقولا حتى ان بعضهم

لقب بعض بالعالم الكبير والاخر ، قال له انت فيلسوف وانا انظر هل ان الالقاب اصبحت تؤله بها الشخصيات وتستعيض عن القابهم الحقيقية ودرجاتهم الحقيقية، نحن بحاجة الى معرفة بانفسنا اولا وبالاخرين هم واعمالهم ومنجزهم بعيدا عن اطلاق الالقاب والمسميات جزافا.

ملحوظتان:/

1- على المثقف ان يعرف مدى امكانية ان ينجز شيئا واقعيا لينفع به المجتمع بعيدا عن نرجسيته.
2- عقم الافكار وعدم فاعليتها هو اخطر شيء يقع به المثقف تجاه مجتمعه.

26- الوعي البيئي:/

وفي هذا الموضوع بالذات اود التركيز على المفهوم البيئي ، اننا دوما ما نذكر الامور الفلسفية والفكرية والنهضوية ونشدد على اهمية الوعي بها، متناسين الوعي البيئي واهميته، فالحياة على سطح الارض اصبحت صعبة وخطرة والتلوث اصبح خطرا على صور الحياة المتعددة، فلا يدرك البشر نتيجة سلوكياتهم المدمرة للبيئة الا بعد فوات الاوان فالتصحر والانفجار السكاني والاحتباس الحراري كلها مساوئ تفتك بالارض والبشر على حد سواء، وان ما نراه اليوم من تدهور بيئي ما هو الا نتيجة للانشطة والسلوكيات اللاواعية تجاه البيئة، ما جعل البشرية تتجه الى سلبيات كبيرة، فالزيادة السكانية الكبيرة خصوصا في الدول النامية جعلت من نسب الفقر مرعبة جدا مما جعل الاطفال ينشؤون في جو صحي غير سليم وبيئة اجتماعية غير متقدمة ويعانون الجوع والمرض ، ففي العراق وحسب احصائية 2010 هنالك 31 مليون انسان والاعداد في تزايد وهذا كله على حساب البيئة ، ومحدداتها وعوامل كالفقر وانعدام الامن الغذائي والصحي .

ولو اخذنا ملمحا نخبويا من العالم بعكس صورة الانسان وما يحدثه على سطح الارض لارتعبنا حقا فنرى مثلا:

1- **التفجيرات النووية التي يحدثها الانسان على سطح الارض والحرارة الشديدة الناتجة عنها والتي تعمل على اتحاد النتروجين الجوي مع الاوكسجين مكونة بذلك اكسيد النتريك الذي يعمل على تدمير طبقة الاوزون، الى جزيئات الاوكسجين العادي ، بينما لا يتاثر هو ويعود الى الجو مرة اخرى من دون ان يتغير كما في المعادلة التالية :/**

$$NO+O_3$$

يؤدي ناتج العنصرين الى :

$$NO_2+O_2$$

و

$$NO_2+O$$

يؤدي الى :

NO+O2

2- عنصر البروم Br2 من الهالوجينات ينطلق من المركبات التي تستخدم في مواد التدخين والتبخير ومن بعض المواد المستخدمة في اطفاء الحرائق وهو يتراكم في الجو ويسهم في تدمير طبقة الاوزون ...

3- غاز ثاني اوكسيد الكاربونCO2 : حيث يتكون في الغلاف الجوي وعمليات حرق الفحم والنفط، والغاز الطبيعي التي تؤدي الى اطلاقه ودورة هذا الغاز اختلت بفعل الانشطة البشرية مارة الذكر مما ادى الى زيادة تركيزه مما سيكون له اثر كبير في زيادة معدلات درجات حرارة جو الارض، وازدياد تاثيرات ظاهرة الاحتباس الحراري..

ويعتقد العلماء انه اذا استمر حرق الوقود وازالة الغابات وانتشار التصحر بالمعدل الموجود حاليا فان نسبة غاز CO2 ستصل في العام 2050 الى 450 جزءا في المليون وفي نهاية القرن الحالي 2100 ستصل الى 550 جزءا في المليون (عبد المنعم مصطفى القمر، الاحتباس الحراري، سلسلة عالم المعرفة، 2012) لذلك علينا ان نعي ان التحدي الحقيقي الان هو اما الاستمرار في استخدام الوقود الاحفوري كمصدر للطاقة والذي سوف يؤدي الى تغيرات مناخية هائلة على الصعيد العالمي تصيب الدول النامية بأضرارها واما توفير بدائل مناسبة من الطاقة المتجددة لتقليل انبعاثات CO2 وغازات الدفيئة الاخرى .

علينا الوعي بخطورة CH4 غاز الميثان: الذي ينطلق من المياه الاسنة والبحيرات المغلقة ، كما ينبعث اثناء استخراج النفط، وقد ازداد انطلاقه الى الجو مع زيادة التصنيع ، كما انه ينطلق من العمليات الزراعية خاصة اثناء تخمر الفضلات النباتية او الزراعية او الحيوانية نتيجة انحلال المواد العضوية الموجودة في التربة، وبرغم وجود هذا الغاز في الغلاف الجوي بنسبة اقل من نسبة غازCO2 بكثير فان قدرته على حبس الحرارة تزيد باكثر من 25

مرة عن قدرة CO_2 لذلك فانه يساهم بقدر كبير في زيادة معدلات درجات الحرارة في جو الارض.

ملحوظتان:/

1- يميل بعض العلماء الى تسمية الاراضي القاحلة بالتصحر، لانها من فعل الانسان ومع ان الجفاف يكون بداية للتصحر ،فان العامل الرئيس المسبب له ،هو الانشطة البشرية المتمثلة في سوء استغلال الاراضي وادارتها والمغالاة في الاستفادة من الغطاء النباتي ، والدليل على ذلك ان التصحر يمكن ان يحدث في المناطق الرطبة ، عموما فان اهم ما يميز هذه الظاهرة هو تدهور التربة والنبات ، لان تربة الاراضي الجافة تتميز بضعف خصوبتها.

2- اهم من كل ما ورد في اعلاه هو التلوث الذي يحدث للمياه، فالماء يعاني اليوم كثيرا من تصرفاتنا لذلك فان تزايد عدد السكان ادت الى نقص شديد بامدادات المياه، العذبة برغم ان التلوث وتغير المناخ وتسرب مياه البحر الى المياه الجوفية من العوامل التي ادت الى تضاؤل الامدادات المتاحة من المياه العذبة، والان اصبحت مشكلة نقص المياه تتصدر اولويات دول العالم، خصوصا ان هناك الملايين لا يعرفون الماء النقي، فكل ما ذكرناه حول مشاكل المياه يمثل مشكلة عويصة تمثل عقبة كاداء امام الوعي البيئي المطلوب، فعلى المثقف ان يخرج من دائرة مطالباته التقليدية الى دوائر مطالبات مهمة تقع على رأسها البيئة واهميتها الاستراتيجية في خلق وعي صحي مهم ومتاح اساسي ضامن للانسان....

27- الوعي بالمستقبل

ان استشراف المستقبل يتطلب نشوء مثل هكذا وعي بالمستقبل ووجوده مهم للغاية ، فالمستقبليون قاموا بقراءات متعددة لمستقبل الدولة ، والوعي بهذا المستقبل واختراق الثقافات وانفتاح الشعوب، والتناحر والتعاون الحاصل بين الامم، اننا حقيقة امام مواقف عدة ومهمة واساسية ينبغي الانتباه اليها بشكل واضح مضطرد، والا فالمستقبل سيكون مظلم ليس له وجود حقيقي ، فهنالك تحديات كثيرة مستقبلية تواجه (الدولة/ الامة) وتهدد قدرتها على الاحتفاظ باهم ملامح وعوامل استقرارها وتماسكها الداخلي الذي يقوم في معظم الاحيان على مفاهيم عدة منها التجانس السكاني في الجوانب العرقية والدينية واللغوية والثقافية ، مع السماح بغير شك بالتنوع الذي لا يتعارض مع هذا التجانس ولايكون مصدرا للصراع الداخلي ومن اهم هذه التحديات واكثرها خطورة ازدياد اتساع نطاق التحركات السكانية والهجرات وحركات الاستيطان التي تتعرض لها المجتمعات، وخصوصا مجتمعات الغرب الصناعية المتقدمة التي تستقبل اعدادا متزايدة من الوافدين المختلفين ، والغريب في الامر ان بعض الكتاب الامريكيين كما يقول احمد ابو زيد يساورهم الخوف على (وحدة المجتمع الامريكي) على سبيل المثال من جراء هذه الهجرات وذلك على اعتبار ان امريكا مجتمع مفتوح لكل الجنسيات والاعراف والاديان واللغات والثقافات ومن اطرف ما ذكر حول الاقوام المهاجرة الى الدول قول لاحد الساسة في سويسرا المناهضين لحركات الهجرة من الخارج بقصد العمل والاقامة، الدائمة انه اذا اجريت مباراة في كرة القدم بين سويسرا واسبانيا ،فان السويسريين من اصل اسباني سوف يتشيعون لفريق اسبانيا ويشجعونه ويتمنون فوزه وهزيمة الفريق السويسري فنحن اذن امام وحدة المجتمعات وامام اختراق الثقافات.

ومن جانب اخر فان التقدم السريع والمتواصل الذي يحدث في مجال التكنولوجيا في المعلومات والاتصال والتكنولوجيا البايلوجية سوف يسهم في رأي الكثيرين في اضعاف قدرة الدولة وسطوتها في التحكم والسيطرة على شعوبها نتيجة لانفتاح هذه الشعوب على احداث العالم ونظمه وثقافاته والحركات الفكرية المتلاطمة بما في ذلك الحركات التي تدعو الى التمرد على الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المفروضة على بعض الشعوب مما يجعل المواطن العادي ينصهر مع العالم بفض وسائل الاتصال العولمية ، لقد افلحت الشركات عابرة القارات من امثال كوكا كولا واي بي ام ومايكروسوفت ، عن طريق فرض هيمنتها الكبيرة الاقتصادية الطاغية للتدخل في سياسات الدول الداخلية وعلاقاتها الدولية مما سيكون له اثر سلبي على تلك الدول، هذا على صعيد التاثير اما على صعيد التفاعل فنحن امام كم هائل من المعلومات التي هي بلا اطار يحددها فالانترنت على سبيل المثال يقدم المعلومات المطلوبة حول أي موضوع بطريقة الية وفي شكل نمطي وبترتيب جامد، ومحدد تولى صياغته في الاصل اشخاص او هيئات لا يعرف الباحث شيئا عنهم او عنها ولايكاد ذلك الشكل او الترتيب يتغير مهما تعدد واختلف الاشخاص الذين يزورون الموقع المعين للحصول منه على المعلومات المتعلقة بالموضوع وفي ذلك تحديد لحرية التصرف وتقييد الامكانات التنويع والتجديد، وهذه مشكلة تدركها الاجيال الحالية من مستخدمي الكمبيوتر والانترنت، وسوف تزداد المشكلة ، حدة وتفاقما في المستقبل بازدياد الاقبال والاعتماد على النت والانصراف التدريجي، عن الكتاب بحيث يمكن ان نطلق على ابناء الغد اسم(اولاد الشاشة) ، مثلما يطلق على الاجيال السابقة والى حد ما الاجيال الحالية اسم(اولاد الكتاب) كما سماهم احمد ابو زيد ، وانا اختلف معه كون الاجيال الحالية هي اولاد الكتاب ، قد يقصد جيله ومن انتمى اليه فهذا صحيح جدا، والخطورة الحقيقية التي سوف تتعرض لها الاجيال التالية ، تنجم من ان سهولة الحصول على تلك المعلومات الغزيرة دون بذل عناء في البحث والتنقيب عنها ، من شانها اضعاف القدرة على التفكير او استخدام الخيال الابداعي بطريقة ايجابية فعالة وذلك لان تحصيل هذه

المعلومات والحقائق سوف يتم في الاغلب دون ادراك او معرفة او فهم للسياقات والاطر النظرية العامة التي تعمل ضمنها تلك المعلومات وكما تقول (الليدي سوزان جرنيفلد) في ذلك: ان هذه الاجيال سيكون لديها من الاجوبة الجاهزة اكثر من التساؤلات . التي كان يمكن اثارتها والتي تدفعهم الى طرحها بالفعل، قراءة الكتاب ومناقشة ما قد يكون فيه من افكار واراء وفي هذا ايضا قضاء على الفردية الخلاقة المبدعة .

فالمشكلة التي سوف تواجه الاجيال التالية لن تكون هي العجز عن الحصول عن المعلومات بقدر ماهي عدم العثور على الاطر العامة للتفكير الذي يوجه سلوكهم ويحدد قيمهم ويساعدهم في الوقت ذاته على الاحتفاظ بكيانهم كبشر يتمتع كل منهم بميزاته الخاصة، التي ينفرد بها عن غيره من اعضاء المجتمع، الذين يعيشون كلهم فيه، ولقد اصبح الخوف من تراجع الفردية وتاكلها من جراء سهولة الحصول على المعلومات ووفرتها امام الجميع هاجسا يشغل بال الكثيرين من المفكرين والكتاب الذين يعتبرون هذا التراجع او التأكل اشد خطورة على وجود واستمرار المجتمع الانساني القائم على التنوع الخلاق من خطر احتمال تدمير العالم باسلحة الدمار الشامل فيعتقد البعض ان التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات وغزارة تدفقها واتاحتها للجميع وسهولة الحصول عليها ، تحمل بين طياتها امكان وقوع المجتمع الانساني تحت سطوة نمط واحد وموحد للتفكير والاحساس ، بالتالي سيطرة (عقل جمعي) واحد تختفي امامه تماما كل مظاهر الاختلاف والتنوع والتفكير الشخصي الايجابي والمتمايز والارادة الفردية المستقلة.

ولكن قد اختلف مع هذه الاراء بكون الفعل الجمعي يكون حصيلة ثورة المعلومات ، بل على العكس ، المعلومات وتنوعها تعطي عقولا متنوعة غير متفقة وهويات متنوعة ولكن اسلوب اعطاء المعلومات هو المحدد الاساسي للعقل الجمعي ، بمعنى ان الاسلوب في التعاطي واحد مما يخلق اسلوب للتفكير في الحصول على المعلومة يكون واحدا، وليس عقلا مفكرا واحدا ، فهذا من الصعب ، بل من المستحيل الحصول عليه، في ظل ثورة المعلومات المتدفقة التي نعيشها.

ملحوظتان:/

1- نحن بحاجة الى رؤية مستقبلية متوحدة المعالم تتفق فيها المكونات الانسانية على ضرورة التفكير الصائب في البناء والابتعاد عن الصراعات الداخلية المسببة لتنافر وتفكك المجتمعات.
2- اولاد الشاشة ممكن ان نجعلهم اولاد الكتاب كذلك عبر الترغيب في اقتناء الكتب والتشجيع على القراءة لاهميتها المستقبلية في رصد الترتيبات المهمة في ايجاد صيغ بناء حقيقية تعتمد على عدم الانسلاخ من الهويات المرتبطة ، وبالتالي اعتماد السلك التكنولوجي مع السلك الثقافي يعطي دافعا وزخما ثقافيا هائلا.

28- الدور التنويري للكاتب :/
لا ينكر علي حرب المفكر اللبناني ان للكاتب دورا تنويريا ، لان الكاتب الحقيقي يحاول دوما ان يكتب ما لا يكتب بابتكار ادوات جديدة للتعبير او بارتياد افاق جديدة للمعنى او بالدخول على تلك المناطق المهمشة او المعتمة من الحياة والوجود، ومع ذلك فقد بت حذرا من استخدام مقولة التنوير – على حد قول علي حرب- فقد يكون علي حرب قد حصر مهمة المثقف والكاتب بهذه الادوار التي اشرت اليها بابتكار الادوات او بارتياد الافاق الجديدة للمعنى او بالدخول الى المناطق المهمشة وهي كثيرة في التاريخ ، كذلك فان المناطق المعتمة من الحياة والوجود حاول البعض ان يجعلها متنورة .
كما ان الافاق الجديدة للمعنى تعطي معنى حقيقي له فبدون تفكير واعي من الكاتب لكي يبحث عن هذه الافاق موجدا لها المحددات المجتمعية المهمة ، لن يكون هنالك كاتب حقيقي ، نحن بحاجة الى مفكر يشتغل على الافكار اكثر مما يشتغل على الاسلوب الادبي، فعملية انتاج الافكار مهمة جدا وحيوية لايجاد بنى تحتية للافكار المجتمعية ، وينبغي التفكير اكثر في اللامفكر فيه ، حيث يمثل اللامفكر فيه جانب حيوي من جوانب المعرفة ، والتنوير ومن هنا ينبغي الاشارة، الى المثقف الحقيقي حيث اعتبر الوردي ان المثقف الحقيقي هو القادر على تغيير فكره عند الحاجة لذلك وعند تبين خطا افكاره السابقة اما المتعلم فهو صاحب الشهادة فقط كما فرق علي حرب بين المثقف والمفكر حيث اعتبر ان المثقف هو : من يرفع صوته او يستخدم قلمه للدفاع عن الحريات المنتهكة ، واخصها حرية التفكير والتعبير ، اما المفكر فانه يقتحم المناطق المستبعدة من نطاق التفكير ، لكي يجعل الممتنع ممكنا ، والعصي قابلا للتناول ، وعلي حرب يستعمل تعبير (الممتنع على التفكير) لتعريب المصطلح الفرنسي الذي يترجم عادة، ترجمة حرفية بالعبارة الاتية:

(اللامفكر فيه)، ذلك ان المفكر لا يطالب بحرية التفكير بقدر ما يمارس تفكيره بحرية باشتغاله على ذاته، واقامته علاقة نقدية بفكره، حتى لا تستعبده فكرة من الافكار او تتسلط عليه مقولة من المقولات، ولهذا فالمفكر : هو من يحاول التحرر من سلطة افكاره بالذات ، انه يفضح ما يمارسه خطاب الحقيقة والحرية من السفسطة والدكتاتورية ، كذلك نحن بحاجة الى النقد ، النقد بقدر ماهو اجتراح امكانيات جديدة للتفكير او للتعبير ، للقول او للعمل والذين يمارسون النقد كدحض للمقولات او كنفي للاعمال الفكرية على الطريقة التهافتية كما يسميها علي حرب، لا يشهدون الا على تهافتهم ولا يؤكدون الا نفيهم من مجال التفكير الخلاق والمنتج، وكان ابو حامد الغزالي شيخ النقاد، بالمعنى التهافتي ، قد ادرك ان مثل هذا النقد هو اعجز من ان يولد حقيقة، لان منطلقه ان الحقيقة معروفة سلفا، أي :ان مرماه تبرير ماهو معروف وقوامه الحكم على الاشياء استنادا الى ماهو معلوم بصورة مسبقة ، ولهذا فهو لا ينتج فكرا ولايحقق سبقا معرفيا، نحن بحاجة الى التفكير الخلاق والمنتج، كذلك نحن بحاجة الى النقد بقدر ماهو اجتراح الامكانيات الجديدة للتفكير ، فالامكانيات تتلخص بقدرة الكاتب والمفكر على انجاز رؤى فكرية مهمة ، وليس الانشغال بدحض مقولات الاخرين، كما اننا بحاجة الى دعم المثقف لكي يعلي صوته قويا لانجاز التحرر الفكري والتنوير المعرفي، وعندما نتحدث عن المفكرين نتحدث عن أناس اشتغلوا في اللامفكر فيه، ومن ابرز المشتغلين في نقد القران (كموضوع غير مفكر فيه) نرى علي حرب يتحدث عنه معتبرا /انه لا ينبغي لقارئ اركون ان يعتد بتصريحاته عن القران، بل عليه ان ينتبه الى تفكيكاته، فاركون هو ابرز مفككي النص القراني والعقل اللاهوتي الذي جسده او انبنى عليه، انه يوظف ترسانة معرفية ومنهجية هائلة ضد تراث طويل من التفسير يقوم على التعامل مع القران بوعي ديني يتجاوز التاريخ ويعلو عليه، ومعنى ذلك ان اركون يوظف تفكيكاته ضد المنطق اللاهوتي ، القراني ولا اقول ضد القران بالتحديد، ذلك ان النص أي نص هو في النهاية متعدد

الخطوط والمساحات والطبقات ، وهذا ينطبق على النص القراني بامتياز ،ففيه المتعالي والتاريخي، واللاهوت والناسوت والقدسي والدنيوي.
من هنا فان كلام اركون على الحجاب الذي يمارسه النص الثاني على النص الاول، هو كلام مخادع مراوغ كما يسميه، ذلك ان هاجس اركون الاصلي هو تفكيك النص القراني لتعرية الياته في الحجب والتحوير والتحويل، هاجسه هو (فرق الممنوعات وانتهاك المحرمات التي سادت فيما مضى وتسود اليوم، والتي اقصت كل الاسئلة التي كانت قد طرحت في المرحلة الاولية والبدائية للاسلام ثم سكرت واغلق عليها) .
هذا ما يقوله اركون حرفيا، فمطمح اركون هو نبش تلك الاسئلة والاعتراضات والمواقف، التي جرى قمعها او طمسها في عهد النبوة وفي هذا اعتبار للذين اسكتهم خطاب الوحي من المشككين والمفكرين، ولا مراء ان عمل اركون ينطوي على نزع هالة القداسة عن ظاهرة الوحي والنبوة، ومن هنا يقول عن القداسة(ان الدراسة العلمية للمقدس لا تعني الانتقاص منه ، او المس به وانما تعني فهما افضل لكل تجلياته وتحولاته، وتحذيرا لبعض الفئات او بعض الاشخاص من التلاعب بيه لمصالح شخصية او سلطوية ويمكنني القول ان المقدس الذي نعيش عليه او معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الاسلام ولاحتى بالمقدس الذي كان سائدا ايام النبي)ولكن هذا الكلام لاركون ليس سليما تماما فالمقدس اوجد حتى في النص القراني حيث تمت المطالبة به من قبل المشرع بعدم المساس والتفكير في كثير من الامور لتأسيس سلطة حاكمة على البشر والعمل في الوقت نفسه على اخفاء تلك السلطة واستثمر المسلمون الاوائل المقدس لتبرير حكمهم القاسي على الناس ولكن كلام اركون قد تكون فيه صحة من جانب مهم الا وهو ان المسلمين بتقادم المقدس لديهم عملوا على اضافة الكثير اليه حتى اصبح غير مستساغ واجرامي وتم القتل والسلب والغاء الاخر في سبيل ذلك المقدس الغيبي ، لذلك نحن امام اشكالية

المقدس واشكالية الغيبي المرتبط به ارتباطا مباشرا ووثيقا ، نحن امام اشكالية كبيرة تتلخص في البعد التقديسي للشخوص والحوادث الزمنية والمكانية التي اسهم المسلمون اليوم وفي التاريخ بتقديسها حدا بعيدا.

ملحوظتان:

1- **ان تفكيك النص القراني معناه اعتراف بكينونته كتشكيل خطابي يملك وقائعيته ويولد حقيقته ومثل هذا الجواب يجعلنا نتجاوز الثنائيات القديمة في تقييم النصوص النبوية ، أي:ثنائيات الايمان والهرطقة والصدق والكذب او القدسي والدنيوي او المعقول والاسطوري .**
2- **ان انتاج المعرفة الجديدة الحية يتطلب تنشيط الفكر النقدي الحر بتسليط الضوء على هذه المساحات الشاسعة من الدين والمناطق الخارجة عن التفكير بسبب هالات التقديس والتعالي ، لقد دمر المقدس المجتمعات الاسلامية فلا مناص من نقده وتوجيه سهام النقد اليه.**

29- القراءة وقدرتها على احداث الوعي:/

بعدما تحدثنا في المبحث السابق عن المفكر والمثقف والكاتب وادوارهم المهمة في صناعة الوعي بالمقدس وبغيره من الافكار ساتحدث في هذا المبحث عن القارئ المستقبل للافكار من قبل المجتمع ، فنحن امام عدد من الانواع للقراء صناع الوعي بما يقرؤوه فنحن امام تفاعل يجب ان يتم بين النص والقارئ كذلك فان نجاح التواصل بين النص والقارئ ، لايتم الا اذا كان الثاني اذانا صاغية تمتثل لتوجيهات وليس لاوامر الاول.

نحن امام عدد من انماط القراء ومنهم :/

1- **القارئ الحقيقي: هو قارئ يدلي بارائه حول النص فيكون القراء الحقيقيون هم القراء المتعاقبين على قراءة النص عبر سيرورة زمنية ، او جمهور المتلقين الذي نستطيع التعرف على معاييره الخاصة من خلال حكمه على العمل.**
2- **القارئ المثالي : الذي يتحدد دوره في الكشف عن اسرار النص في اثناء عمليات التاويل وهذا القارئ يفترض فيه ان يكون قادرا على تحقيق المعنى الكامن في النص بتمامه ، وليس بمقدور أي قارئ وان كان مثالي ان يلم بكل تفاصيل المعاني الكامنة في النص.**
3- **القارئ المخبر : كما يسميه فيش وهذا القارئ يكون قادرا على وصف ومعالجة النص ويشترط فيه ان يكون متكلما كفوءا باللغة التي كتب بها النص، وان يكون متمكنا من المعرفة الدلالية المتصلة بهذه اللغة ، وهذا يتطلب منه خبرة موسوعية وكفاءة ادبية ، وهذا القارئ كما يعرفه فيش ليس شيئا مجردا ولاقارئا حقيقيا حيا، لكنه هجين، وهذا النوع من القراء يجب عليه ان يراقب ردود افعاله اثناء عملية القراءة ، كي يتحكم فيها ن واذا قام القارئ اعتمادا على كفاءته ببناء النص بنفسه فان ذلك يتضمن ان ردود افعاله سوف تلاحق بعضها البعض في الزمن، خلال مجرى القراءة ومن خلال هذا التعاقب يتولد معنى النص.**
4- **القارئ المقصود: كما يسميه(وولف) الذي يعتمد في اعادة بناء فكرة القارئ الذي يقصده المؤلف والقارئ المقصود باعتباره قاطنا تخيليا في النص لا يمكن ان يجسد فقط المفاهيم وتقاليد الجمهور المعاصر ، بل ايضا المعطيات التاريخية التي كانت حاضرة في الذهن للمؤلف، وهو يضع نصه، ان النص يصبح قادرا حتى في غياب معرفة مفصلة بالقارئ المعاصر ، وبالتاريخ الاجتماعي لعصر من العصور على تقديم صورة عن**

الجمهور ، الذي رغب المؤلف في مخاطبته وبالتالي عن مقاصد هذا المؤلف.

5- القارئ التخيلي:

يعد واحدا من المنظورات النصية العديدة ، ودور القارئ ينشأ عن التفاعل بين هذه المنظورات .

نحن بحاجة الى التجاوب بين القارئ والنص وصهر المجموع في قالب متجانس لا يخلو من النسقية خلف الاراء الفلسفية والفكرية التي نحن بحاجة اليها، فاستنطاق النص يتم من خلال القارئ الذي سيؤول وينتج نظريته في الوعي التي يحتاجها المجتمع، وتجاوز الجمود الذي وقع فيه. بعد كل هذه الشروحات لانواع القارئ اعتقد اننا امام بعد مهم ينبغي تواجده في القراء داخل المجتمعات لاحداث الوعي المجتمعي الذي بدونه سوف لن يكون هنالك وعي حقيقي ، والوعي الذي نطلبه ان القارئ بانواعه المتعددة ينبغي ان ينقل تجربته في الوعي الذي احدثه الى المجتمع، من هنا يبدا القارئ ومعه المجتمع بنقد الذات الذي نحن بحاجة اليه لتحقيق الاصلاح ، والاصلاح هو الامل المنشود لرفعة المجتمعات ، وساناقش نقد الذات في المبحث القادم من هذا الكتاب.

ملحوظتان:/

1- **ان التفاعل الايجابي بين القارئ والنص يعطي دلالات مستقبلية مهمة لاحداث الوعي.**
2- **ينبغي اقامة مهرجانات تعنى بالقراءة وتشجع عليها وتكون في المناطق الشعبية وغيرها لعدة ايام جاعلة بذلك للكتاب مكانه بين ابناء تلك المناطق وضمن مشاهداتهم الكلية .**

30-نقد الذات احد اهم سمات الوعي المطلوب:

ويتجسد هذا الامر عبر اعتراف الذات الفردية عبر شخص الكاتب مصحوبا بسياق عام، تصطرع بداخله نظم الاخلاق والسلوك، والتعليم والتربية والاعراف والتقاليد ، ويقف بنا عند جانب من جوانب التكوين النفسي للمجتمع وتطور منظومة الافكار وتبدلها او تجددها من جيل الى اخر ، وهذه النزعة في الاعتراف تستند الى وعي اجتماعي خاص ، وثورة على تقاليد يريد ان يمحوها بهذه الاعترافات، وهنا تحضرني مقولة برناردشو (اروع السير هي الاعترافات ، ولكن الكاتب لو كان عميقا فان كل مؤلفاته تصبح اعترافات) ، نحن بحاجة الى الصدق التام والشفافية العالية في رصد وقائع ما يعانيه المجتمع دون تبرير او تزويق فنجد ميخائيل نعيمة كان ولوعا بامررين : لذة الكشف والتعري ، ولذة التذكر ، فالاولى يلاقيها (اذا هو تعرى امام اخوانه الناس من جميع اسراره واوزاره ، وكأنه البيت من زجاج، كل ما فيه مكشوف للعيان ، الا ما كان منه ابعد، واعمق من متناول ابصار الناس وافكارهم) كما نحن بحاجة الى البحث عن الهوية النفسية والشخصية للذات كي نستطيع رصد الواقع الحقيقي للمجتمع، فالكاتب عندما يتعرف وينقد ذاته بصراحة عبر سيرة ذاتية او ما شابهها فانه سيصل الى نقد المجتمع المتفاعل معه لذلك نرى تشارلز داروين يقول في مطلع سيرته الذاتية:

وانا اعلم انه كان من الممكن ان يثير اهتمامي ان اقرأ شيئا كتبه جدي بنفسه عن تفكيره، حتى ولو كان ما كتبه مجرد مخطط شديد الايجاز ثقيل الظل لاعرف فيم كان يفكر ن وكيف كان ينتقل من الفكر الى الفعل ، وكيف كان يؤدي افعاله.

ومن هنا استطيع ان اقول ان نقد الذات يؤدي مباشرة الى :

1- الانتقال من الفكر الى الفعل.

2- تامرية الافعال

3- معرفة القيم وكيفية التفكير .
4- تنبيه المجتمع.
5- لذة الكشف عن الافكار والاحساس بقيمتها
6- الافاق المضمونية للفكر التي تقوم على التاملات النفسية والاستبطان العميق للذات ورصد الهواجس للذات وتقلباتها واحوالها، ومعالجة منازع التفكير وعناصر تركيب الطبع والكشف عن عوامل التناقض النفسي والاجتماعي ، وهي افاق يعايشها في لحظة الكتابة ، وتتخلق في كل حين، نحن نحتاج كذلك الى ادراك الحقائق بارادة حرة جسورة كي نكسر التقليد ونعمل على بعث الذات المفكرة ، يقول يحيى حقي:

(لايهم الجيل الحاضر ان يعرف عن الجيل السابق ، كيف كان ياكل ويشرب ؟ وماذا كان يلبس؟ بل لا يهمه ان يعرف ماذا كان يقرا؟ وحتى ماذا الف؟ وماذا كتب؟ بقدر ما يهمه ان يعرف النمو الروحي لهذا الجيل السابق ان ينكشف له، الستار ليرى من ورائه صراع النفوس مع المبادئ و المعتقدات ، التحول من الشك الى اليقين او من اليقين الى الشك تلمس الطريق في الظلام عسى ان تؤدي سراديبه الملتوية الى مخرج يدل عليه من بعيد بصيص من نور ، وبالتالي تلمس اوجه الصراع بين المعتقدات الفاسدة والاصلاح، الحقيقي من قبل الكاتب والباحث سيؤدي حتما الى وعي كبير بالذات وبالتالي العمل على نقدها بصورة علمية بناءة.

ان النقد الذي يوجهه الكاتب لذاته المعبرة عن مجتمعه هو نقد فعال مهم يصبح بالنتيجة قادرا على ايجاد صيغ تفاعلية ناجحة لبناء المجتمع، لذلك فان نقد الذات مهم جدا، يجعل منا منساقين خلف الرؤى الاصلاحية للمجتمع، علينا كذلك ان نكون يقظين الى المتضمنات المجتمعية واستخدام اللغة المهمة والاساسية التي تؤدي بنا الى ايجاد لغة اصلاح مجتمعية مهمة ، كذلك على الكاتب مراقبة الرافد الثقافي الشعبي المتمثل بالخرافة والاسطورة وعليه الا يهاجمه بقدر ما يفككه ويحوله الى سرد عجائبي وفن مقبول ومهم كدلالة عن الفن لدى ذلك المجتمع ، أي ان يحول الخرافة

صيغة فنية مجتمعية ، فاطوار العقيدة لدى المجتمع ضمن مراحل تطوره الروحي، مستمرة وبينة وواضحة المعالم ينبغي على الكاتب مراقبتها وايجاد صيغة فاعلية تشي بنقد الذات وتوصل الاسطورة الى واقع فني بحت.

ملحوظتان:/

1- الانتقال من الفكر الى الفعل مهم جدا، لايجاد صيغة بناء مجتمعية هادفة.
2- ايجاد لغة قادرة على النقد البناء ، هو ما يطمح اليه المجتمع الناقد لذاته عبر كتابه .

صدر للمؤلف:

1- نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح/ دار رند/ سوريا/ 2011
2- الفكر/ منظمة كتاب بلا حدود/ 2012
3- التنمية وواقعها الاممي/ شبكة الاعلام العراقي/ 2013
4- عز الدين سليم جدل الكتابة والتجربة/ دار البصائر /بيروت/2013/

صدر له مع اخرين/

1- علي الوردي والمشروع العراقي/ دار مصر مرتضى
2- البصرة صراع المركزية واللامركزية/ مع عدد من الباحثين/ مركز الدراسات الاستراتيجية /بيروت/2010
3- عناد غزوان شهادات ووثائق/ دار دجلة/عمان

سيصدر له الكتب التالية:

1- آليات تحرير الفكر وتوجيهه نحو التنوير .
2- دراسات في الفكر النهضوي الحديث
3- آليات نهضة المجتمع عبر السلوكيات النهضوية

4- عهد الامام علي لمالك الاشتر دراسة سايكولوجية.
5- مفهوم العقل في البصرة بخمسة اجزاء .
6- دراسات في النقد الادبي.
7- المرأة والخطاب المجتمعي.
8- عبد الرزاق حسين صور نهضوية في شعر ملتزم.
9- علي الوردي والعطاء النهضوي لبناء المجتمع.
10- مقاربات توثيقية بين الاديان.
11- النص وازمات المجتمع
12- مراجعة النص الاسلامي البخاري والكافي نماذجا.
13- البصرة تراث شعبي غني
14- الحداثة والتنوير تنطلق من رؤى فكرية نقدية
15- مصطفى جمال الدين قوة الشعر والنهضة الفكرية
16- البريكان دراسة فلسفية في شعره.
17- كيف نحقق الوعي المجتمعي المنشود عبر التنوير
18- سلسلة الوعي والتغيير ، الكتب الثانية والثالثة والرابعة /2014

الكتاب الثاني – 18